الحركات عند ابن جني في ضوء علم الأصوات المعاصر

إعداد الدكتور

د. عبداللطيف مطيع عبدالقادر

جامعة العلوم الإسلامية العالمية

كلية الآداب والعلوم الإنسانية والتربوية - قسم اللغة العربية

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين ، والصّلاة والسلام على أشرف المرسلين ، الذي بعثه بالحنيفية الواضحة والدّين القويم ، فهدى النّاس من الضلالة وبصرهم من العمى وأخرجهم من الظلمات إلى النور ، وعلى آله مصابيح الظلام وهداة الأنام ، وصحبه القادة المغاوير أولي الآراء الراجحة والحجج الواضحة والمنهاج المستقيم ، وعلى من سلك طريقه واقتفى أثره وتبع سنته إلى يوم الدين .

ويحكي لنا التاريخ كيف أنّ الباحثين والدارسين ، في مختلف اللغات ، قد وضعوا نصب أعينهم ، منذ القدم ، أصوات لغاتهم ، فقاموا بدراستها وصفا وتحليلا وذلك بهدف جلائها ، وتوضيحها ، وتجويد النطق بها ، وخاصة بعد أن ارتبطت بعض تلك اللغات بنصوص مقدسة أضفت عليها مسحة من الجلال ، وهالة القدسية . بيد أنّ الدرس الصوتي القديم ، كان يعتمد لدى مختلف المشتغلين به في الماضي ، على الملاحظة الذاتية .

ولعلّ الدرس الصّوتي ، ليس حديث العهد بل له بعدا تاريخيا ضاربا في القدم ، فقد كان أقدم ما أثر على يد علماء مجهولين ، كما تمثل أقدم صوره كتابة وإدراكا لأصوات اللغة ، إذ تحاول هذه الكتابة أن تمثل بعلاماتها الكتابية صوت الحرف المكتوب .

وقد أثر عن اليونان ملاحظات صوتية ، وهي عبارة عن أقوال لأفلاطون وأرسطر ، وقد وجدت ملاحظات مماثلة عند الهنود الذين قسموا الصّوامت إلى مظقة ، وأشباه الصائتة ضيقة ، كما وجدت ملاحظات عند العرب ، فكان لهم باع طويل في هذا المجال ، إذ وصفوا طريقة النطق ، ومخارج الحروف ، وفرقوا بين الحروف القوية والضعيفة ، والحروف المستطية والمستفلة .

وقد تجد علم الأصّوات النطقي أقدم العلوم الصوتية ، إذ ظهرت بوادره عند العلماء القدامى ، من خلال الإشارات الصوتية عند اللغويين اليونان والهنود والعرب ، إذ تمكنوا من الإحاطة بهذا العلم بالاستعانة بفطرتهم الصوتية السليمة وذائقتهم المتميزة للأصوات ، وقد تجد ذلك جليا في تعريف ابن جني للصوت اللغوي .

إنّما هو (عرض يخرج من النفس مستطيلا حتى يعرض له في الحلق والفم والشفتين مقاطع تثنيه على إمتداده واستطالته فيسمى المقطع أينما عرض له حرفا ، وتختلف أجراس الحروف بحسب اختلاف مقاطعها ... فإن اتسع مخرج الحرف حتى لا يقتطع الصوت عن امتداده واستطالته استمر الصوت ممتدّا ... والحروف التي اتسعت مخارجهما ثلاثة : الألف ثم الياء ثم الواو وأوسعها وألينها الألف إلا أنّ الصّوت الذي يجري في الياء مخالف للذي يجري في الألف والواو ، والعلّة في ذلك أنّك تجد الفم والحلق في ثلاث الأحوال مختلف الأشكال أمّا الألف فتجد الحلق والفم معها منفتحين غير معترضين على الصوت بضغط أو حصر وأمّا الياء فتجد معها الأضراس سفلا وعلوا قد اكتنفت جنبتي اللسان وضغطته وتفاج – أي تباعد – الحنك عن ظهر اللسان فجرى

الصوت متصعدا هناك ، فلأجل تلك الفجوة ما استطاع ، وأمّا الواو فتضم لها معظم الشفتين وتدع بينهما بعض الانفراج ليخرج فيه النفس ، ويتصل الصوت ، فلما اختلفت أشكال الحلق والفم والشفتين مع هذه الأحرف الثلاثة اختلف الصدى المنبعث من الصدر) .

على أثر ذلك تجد أن اللغة العربية تتكون من نسيج متكامل من الأصوات بأنواعها : الصوامت ، والحركات ، وأشباه الحركات إضافة إلى الفونيمات غير التركيبية مثل: النبر والتنغيم ، وقد ظهر الاهتمام باللغة العربية ومكوناتها في وقت ظهرت فيه الحاجة لهذا الاهتمام ، وكان ذلك دافعا لتكثيف جهود العلماء بدراسة العربيّة والتفصيل في مكوناتها وقواعدها .

لقد ظهر الاهتمام باللغة العربية منذ عهد أبي الأسود الدؤلي وهي مرحلة البداية ، ثم جاء دور الخليل وسيبويه ومن تبعه ، غير أنّ الملاحظ على هذه الدراسات أنّها وجهت اهتمامها إلى الأصوات الصامتة، فلم تأخذ الحركات قدرا من الدراسة والاهتمام مقارنة مع الصوامت ، وأحسب أنّهم نظروا للحركات على أنّها تابعة للصوامت ؛ فجاء الاهتمام بالصوامت التي تشكل جذر الكلمة وهيكلها الرئيس .

ومع أنّ الإشارة للحركات قد وردت لدى الخليل ، وسيبويه ، والفرا ، والفارسي إلاّ أنّها بقيت ترد على هامش الحديث عن الصوامت ، ولم يتبلور الاهتمام بالحركات إلاّ على يد ابن جني ؛ فقد تحدث عنها بشيء من التفصيل في مؤلفاته وخاصة (سرّ صناعة الإعراب) ، ثم تلاه ابن سينا الذي حاول أن ينظر للأصوات من جانب تشريحي ، وهي

نظرة دقيقة ، وأحسب أنّ الاشارات الصوتية لدى علماء اللغة بعد ابن جني كانت في معظمها تتكىء على آرائه .

وفي العصر الحديث بقى اهتمام العلماء ينصب على دراسة الأصوات الصوامت ، وأي عرض للحركات إنّما يأتي بشكل ثانوي من خلال الحديث عن الصوامت ، باستثناء الدراسة التي أفردها غالب المطلبي لأصوات المدّ العربية ، وقد جاء اهتمام هذه الدراسة بأصوات المدّ في اللّغات الساميّة ، وفي اللهجات العربية البائدة ، اضافة إلى الوقوف عند أراء القدماء وتقديسها ، فلم يعمد إلى إعطاء الحركات خصوصيتها التي تظهر أهميتها مقارنة مع الصوامت ، وخاصة أثرها في بناء الكلمة وتلوين هذا البناء .

وقد اعتمدت في بحثي هذا على المنهج الوصفي ، وكنت قد استعنت بأمّهات الكتب التي تحدثت عن هذه الدراسة ، فأمدتني هذه الكتب بالمعلومات التي كانت مجهولة لدي ؛ ومن هذه المصادر والمراجع (سرّ صناعة الإعراب ، والخصائص ، وكتب الأصوات اللّغوية) ، فحاولت في هذا البحث أن أرسم طريقا واضحا لمن أراد السير في هذا المضمار بأن يكتشف ما تكتنفها هذه الدراسة من عالم مجهول ، ويزيل ما يحيط بها من الغموض ، ويستدرك ما تعثر به غيره .

أمّا خطة البحث فتتمثل في جعل القارئ مقبلا على الموضوع وهو يعرف مبتداه ومنتهاه ؛ ويستجمعه في ذهنه إجمالا ولا يبقى بعد هذا إلاّ الإلمام بالتفاصيل ، ومن ثم اقتضت طبيعة البحث أن تأتي خطته في ستة مباحث وعشرة مطالب مسبوقة بمقدمة ومتلوة بخاتمة .

المبحث الأول :(جهود ابن جني في علم الأصوات) :

لم تكن الدّراسات الصوتية – التي أرسى قواعدها الخليل بن أحمد ، وقام بتطويرها تلميذه النابه سيبويه – سوى البداية التي أنارت الطريق أمام الأجيال اللاحقة . فبعد هذين العالمين العلمين الكبيرين ، حظي الدرس الصوتي ، عند العرب ، في القرن الرابع الهجري ، بعالم لغوي متميز ، وهو أبو الفتح عثمان ابن جني [1] (ت ٣٩٢ هـ) . لقد خطا هذا العالم بالدراسات الصوتية واللغوية أيضا ، خطوة نوعية إلى الأمام ، وقد تجلى ذلك في كتابين رئيسين له ، في هذا المجال ، هما : سرّ صناعة الإعراب ، والخصائص .

يشتمل كتابه الأول : سرّ صناعة الإعراب ، على جمع للتراث الصوتي لعلماء اللغة العرب الذين سبقوه ، ولاسيما سيبويه ، فكان هذا الكتاب ، بحق ، المصدر الوافي لكل من يريد الاطلاع على التفكير الصوتي عند العرب . ومن ناحية أخرى ، فقد امتازت دراسة هذا العالم للأصوات ، بالقياس إلى دراسة سابقيه من اللغويين ، كسيبويه ، بتصديها لجانب جديد في دراسة الأصوات ، ونعني به توضيح الكيفية التي يتم بموجبها حدوث الأصوات اللّغوية ، وذلك بمقارنتها بكيفية

---

[1] وهو أبو الفتح عثمان بن جني، كان أبوه روميا يونانيا، وهو أزدي بالولاء ، عاش عمرا مديدا يزيد على الثمانين عاما ، متنقلا بين أرجاء العراق والشام ، مصاحبا شيخه أبا علي الفارسي ، ما يقارب من أربعين عاما ، انظر: مقدمة الخصائص (١/٦٠).

صدور الأصوات من الآلات الموسيقية ، فهو يشبه مجرى النفس في أثناء النطق ، بالمزمار ، كما يشبه مدارج الحروف ومخارجها ، بفتحات هذا المزمار التي توضع عليها الأصابع ، أو بوتر العود ، وأثر الأصابع ، فيقول: " شبه بعضهم الحلق والفم بالناي ، فإنّ الصوت يخرج فيه مستطيلا أملس ساذجا ، كما يجري الصوت في الألف غفلا بغير صنعة ، فإذا وضع الزامر أنامله على خروق الناي المنسوقة ، بين أنامله ، اختلفت الأصوات وسمع لكل خرق منها صوت لا يشبه صاحبه ، فكذلك إذا قطع الصوت في الحلق والفم باعتماد على جهات مختلفة كان سبب استماعنا هذه الأصوات المختلفة .

ونظير ذلك وتر العود ، فإنّ الضارب إذا ضرب وهو مرسل سمعت له صوتا ، فإن حصر آخر الوقت ببعض أصابع يسراه أدى صوتا آخر ، فإن أدناها قليلا سمعت غير الاثنين ، ثم كذلك كلما أدنى أصبعه من أول الوتر تشكلت لك أصداء مختلفة ... فالوتر ، في هذا التمثيل ، كالحلق ، والخفقة بالمضراب عليه كأول الصوت من أقصى الحلق ، وجريان الصوت فيه غفلا غير محصور كجريان الصوت في الألف الساكنة ، وما يعترضه من الضغط والحصر بالأصابع ، كالذي يعرض للصّوت في مخارج الحروف من المقاطع ، واختلاف الأصوات هناك كاختلافها هنا ، وإنّما أردنا بهذا التمثيل الإصابة والتقريب .[1]

---

[1] انظر : سر صناعة الإعراب (١/٩-١٠) ، وفي علم أصوات العربية (١/٣٥).

وبالإضافة إلى ما سبق ، كان ابن جني من أوائل اللغويين العرب الذين استعملوا مصطلحات فنية خاصة بعلم الأصوات ، مع تحديد معناها، وضرب الأمثلة لها . ومن ذلك ، على سبيل المثال ، أنّه كان من الرواد الأوائل في استعمال مصطلح " علم الأصوات " نفسه للدّلالة على دراسة الأصوات ، والبحث في مشكلاتها المختلفة [٢]

[٢] انظر: المرجع السابق (١/١٠) ، وفي الصوت اللغوي في القرءن (١/٥٦).

المبحث الثاني : (مفهوم الحركة عند القدماء والمحدثين)

تتشكل اللّغة العربيّة – كأي لغة أخرى – من مجموعة من الأصوات اللغوية ، تتألف فيما بينها مكونة عناصر اللغة ومقوماتها ، ابتداءا بالكلمة وتناميا إلى الجملة ، وقد رأى علماء اللغة العربية أنّ أصوات اللغة العربية تنقسم إلى قسمين : الأصوات الصوائت وهي ما تعارفوا عليه باسم الحروف ، والصوامت ، وهي ما تعارفوا عليه باسم الحركات .

ومنّ العلماء من يقسم الأصوات في العربية إلى ثلاثة أقسام هي : الصوامت والصوائت ، وهناك قسم ثالث هو أشباه الصوائت أو أشباه الصوامت ، وهذا القسم ينحصر في صوتي (الياء والواو) أشباه الحركات التي سماها القدماء حروف اللين مغايرة لمشابهاتها – في الرسم – من حروف المدّ ، وقد سميت هذه الأصوات بأشباه الصوائت لأنّها عرضة للانقلاب والتحول كمّا هي الحال في الصوائت ، وقد سميت أشباه الصوامت لأنّها تتحد مع الصوامت في وجود الإحتكاك عند انتاجها، وفي تحملها للحركات كبقية الصوامت[1].

لقد كان اختلاط الامم غير العربية مع العرب عاملا رئيسا في ظهور اللحن ، فلم ينحصر الكلام المتبادل في الفصيح بل هناك من يتعلم العربية من خلال التعامل اليومي ، وليس سهلا أن تتوفر الدقة في إتقان ما يسمع ويردد ؛ لذلك ظهر اللّحن ، ووصل إلى القرآن الكريم في تلاوة

---

[1] انظر: الحركات في اللغة العربية (٣/١).

بعض النّاس ، من هنا ظهرالاهتمام بالحركات لوضع حد لهذه المعضلة الدخيلة ، وقد أشار ابن النديم إلى هذه البداية بقوله : " أخذ النحو عن علي بن أبي طالب أبو الأسود ، وكان لا يخرج شيئا أخذه عن علي ... فأتى بكاتب من عبد قيس فلم يرضه ، فأتى بآخر ، فقال أبو الأسود : إذا رأيتني قد فتحت فمي بالحرف فانقط نقطة فوقه على أعلاه ،وإن ضممت فمي بانقط نقطة بين يدي الحرف ، وإن كسرت فاجعل النقطة من تحت الحرف ".فهذا نقط أبي الأسود .[٢]

إنّ ما رجحته الروايات وسجلته الوثائق يثبت ظهور علامات البناء مع أبي الأسود الدؤلي ؛ (ضمة ، فتحة ، كسرة) واتخذت أسماءها من أوضاع مختلف أعضاء الجهاز النطقي معها عند حدوثها ، فالضمة من انضمام الشفتين واستدارتهما في شكل دائرة من غير التقائها ببعضهما ، والفتحة من انفتاحهما متباعدتين عن بعضهما ، والكسرة من انكسارهما للوراء في شكل ابتسامة ، ويبقى بعد هذا مصطلح علامات الإعراب (رفعة نصبة ، جرة خفضية) غير محددة التاريخ ؛ وزمان ظهور هذه الألقاب لم يتوصل إليه الباحثون بعد ، وإن نسبوها للخليل فذلك من مفاهيم خاصة لا يسندها دليل ؛ وكذلك علاقة الدلالة اللغوية بالمصطلح ، وسبب انتقالها لا يزال غامضا ، وإن كان ذلك صعبا عسيرا متعذرا فإنّه يمكن تقديم رأي فيه .[١]

---

[٢]انظر : المرجع السابق (١/٤-٥).

[١]انظر : علم الأصوات العربية (١/٥١-٥٢) ، والحركات في اللغة العربية (١/٥).

وقد وردت إشارة عن الخليل يستشف منها لهذه الأصوات بالعلّل أو حروف العلّة ، إذ يقول : " وأمّا الهمزة فمخرجها من أقصى الحلق ، مهتوتة مضغوطة ، فإذا رفه عنها لانت وصارت الياء والألف والواو عن غير طريقة الحروف الصحاح "[٢]. وهذه الإشارة تدل على حديث الخليل عن الحركات الطويلة، أو ما عرف لديهم بحروف المدّ.

ومن خلال التتبع لنظرة الخليل وسيبويه لهذه الأصوات وتسمياتها أرجح أن المعالجة الصوتية ، والتسمية كانت تختص بهذه الأصوات الثلاثة حال كونها أصوات مد طويلة ؛ لأن التركيز في البحث والمعالجة اللغوية في تلك الفترة كان ينصب على الأصوات التي تشكل البنية أو الهيكل الرئيس للكلمة .

لقد أشار الخليل إلى أصوات المدّ القصيرة ودورها ، ولكن إشارته إليها لم ترتبط باسم الحركات بل الفتحة والكسرة والضمة ، فقد ورد في الكتاب :" وزعم الخليل أنّ الفتحة والكسرة والضمة زوائد ، وهنّ يلحقنّ الحرف ليوصل إلى التكلم به " .[٣]

والمقصود بقول الخليل : إنّها زوائد أي أنّها ليست من أحرف الكلمة الأساسية ، ولا يفهم من كلامه الانتقاص من دورها بوصفها أصواتاً لغوية لها دورها كبقية الأصوات .

---

[٢] انظر : العين(٥٢/١)..

[٣] انظر الدراسات اللهجية والصوتية عن ابن جني ، حسام النعيمي.

وهذا الذي ذكره ابن جني من إقلاقها الحرف عن موضعه باجتذابه إلى الصوت الذي هي بعضه ، قريب منه ما ذكره الدكتور فليش في كلامه على الحركة حيث ذكر أنّها (ليست سوى تكيّف في مخرج الصّامت مع المصوّت التالي له ، والذي سوف ينطلق معه) . والذي يعنينا من النص هنا أنّ مخرج الصامت يتكيف مع الصّائت فهو إذن في وضع غير وضعه وهو خال من صائت يتبعه فقد أدى هذا الصائت إلى احداث نوع من التغيير ، أو إلى اتخاذ وضع لم يكن ليتخذ لولاه ، وهو وضع يتناسب مع المصوّت التالي له ، أي أنّه يتناسب مع الفتحة والكسرة والضمة ، وهذا الذي عبر عنه ابن جني بأنّها تقلق الحرف وتجنبه إلى الحرف الذي هي بعضه .[1]

وبما أنّ مصطلح (الحركات) لم يرد عند من سبق ابن جني بالمفهوم الصّوتي الدقيق والمفصل حين معالجة هذه الأصوات في الأبواب الصّوتية ، فالأرجح أن يكون ابن جني أول من وضع مصطلح (الحركات) عند معالجة هذه الأصوات في الأبواب الصّوتية ، ولكنه لم ينسبه لنفسه التزاماً بالأمانة العلمية وإظهاراً لجهود السابقين ، فمصطلح (الحركات) ورد قبل ابن جني في معالجة الأبواب النحوية والصرفية ، وعندما أطلقه ابن جني على هذه الأصوات عند معالجتها في الأبواب الصوتية نظر اليه على أنه مصطلح مشترك في التسمية بين الأبواب النحوية ، والصرفية ، والصوتية مع وجود الفارق في معالجته في كل

---

[1] انظر : الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني محسام النعيمي(١/٣٢٥-٣٢٦).

باب عن الاخر ، فالتسمية عامة قديمة ، والتحديد الصوتي خاص بابن جني .

ومما يرجح أنّ ابن جني أول من أعطى مصطلح (الحركات) عناية خاصة عند دراسة هذه الأصوات دراسة صوتية هو اهتمامه بهذا المصطلح ومعالجته له معالجة واسعة في كتابي : الخصائص وسرّ صناعة الإعراب .[٢]

جاء في وصف ابن جني لها " اعلم أنّ الحركات أبعاض حروف المدّ واللين ، وهي الألف والياء والواو ، فكما إنّ هذه الحروف ثلاثة فكذلك الحركات ثلاث ، وهي الفتحة والكسرة والضمة ، فالفتحة بعض الألف ، والكسرة بعض الياء ، والضمة بعض الواو ، وقد كان متقدمو النحويين يُسمون الفتحة الألف الصغيرة ، والكسرة الياء الصغيرة ، والضمة الواو الصغيرة .. ويدلك على أن الحركات أبعاض لهذه الحروف، إنك متى أشبعت واحدة منهن حدث بعدها الحرف الذي هو بعضه" .[٣]

" ويرى ابن جني أنّهم كانوا على صواب لأنك تجد في هذه الحروف طولاً وامتداداً إذا قلت يخاف ويسير ويقوم فإذا جاء بعدهن الهمزة نحو يشاء ويفيء ويسوء (ازددن طولاً وامتداداً) ، وكذلك إذا وقع بعدهن الحرف المشددّ نحو دابّة وشابّة وتُمُودَ الثوب وقوصّ زيد بما عليه ، ويطيبّ بكر ويسيّر راشد في قول من أجرى الوصل مجرى الوقف ،

---

[٢] انظر سر صناعة الاعراب (٢٠/١) ، والدراسات اللهجية والصوتية (٣٢٦/١).

[٣] انظر المرجع السابق (١٧/١-١٨)، والأصوات اللغوية (١٩٧/١).

والعلماء يسمونهنّ حروفاً كوامل سواء كنّ على طولهنّ وامتدادهنّ أم في حالة ازدياد الطول والأمتداد فيهن ، ولذا كان القياس يقتضي أن يسمين حروفاً إذا جاء الصوت ببعضهن فتسمية الحركات إذن وهي أبعاض حروف المدّ حروفاً ليس بعيداً في القياس " .[1]

كما أنّه يمكننا الاستنتاج من نص ابن جني ، وإن قيد القول في عملية التطويل والتقصير لها ، وتلك الأصوات هي ما يسمونها الفتحة والكسرة والضمة ، فكأنّ ابن جني يشير إلى التفاوت في كمية النطق ونوعيته .

ومن خلال هذا التدرج في الدرس اللغوي نجد أنّ الحركات في العربيّة قد تدرجت في تحديدها من الرسم الأولى وهو النقط إلى الرسم الثاني وهو الحروف الصغيرة ، وقد تركزت معالجتها في هذه الفترة – من حيث المخرج – على كونها أصوات مدّ تدخل في البنية الرئيسية للكلمة ، إلى أن أخذت شيئاً من التفصيل الصوتي بنوعيتها : قصيرة ، وحروف مدّ في مؤلفات ابن جني.[2]

ومن خلال استعراض هذه المرحلة نجد أنّ مفهوم الحركة فيها أنّها صوت هوائي ليس له مخرج محدد كغيره مَن الأصوات ، وأنّ هذا الصوت يأتي على نوعين حسب كميته : صوت قصير وهو ما عرف

---

[1] انظر سر صناعة الإعراب (٢٠/١) ، والدراسات اللهجية والصوتية (٣٢٦/١).

[2] انظر في الأصوات اللغوية دراسة في أصوات المدّ الفرعية (٨٥/١-٩١).

بالحركة ، وصوت طويل وهو ما عرف بحرف المدّ ويدخل هذا النوع في تكوين جسد الكلمة الرئيس طبقاً للرسم العربي .[٣]

وفي العصر الحديث عرض العلماء للحركات في اللغات عامة ، وذلك اعتماداً على تحديد دانيال جونز لمخارجها ، وقد وردت تسمياتها لدى العلماء بالحركات والصّوائت ، وأصوات المدّ إلى غير ذلك وممن حدها من العلماء العرب محمود السعران بقوله : " يحدد الصّائت في الكلام الطبيعي بأنّه الصوت المجهور الذي يحدث في تكوينه أن يندفع الهواء في مجرى مستمر خلال الحلق ، والفم ، وخلال الأنف معهما أحياناً ، دون أن يكون ثمة عائق يعترض مجرى الهواء اعتراضاً تاماً ، أو تضيق لمجرى الهواء من شأنه أن يحدث احتكاكاً مسموعاً ، ومضمون هذا الكلام نجده في الدرس اللغوي لدى قدماء العربيّة ونجده عند اليونان من خلال قول أرسطو :" هو الذي ينطق دون قرع اللسان أو الشفة ".[٤]

ومن هنا فقد بالغ المحدثون في إشارتهم إلى دانيال جونز ، ونسبة تحديد الحركات له ، فهو لم يحدد مفهوم الحركة بل له الجهد الواضح في تحديده لمنطقة الحركة عند انتاجها ، وننبه هنا إلى قول السعران السابق في تحديد الصّوائت بقوله :" بأنّه الصوت المجهور " .

فقد أجمع العلماء قديماً وحديثاً على أنّ الحركات أصوات مجهورة ، ورأيهم هذا لا تشويه شائبة والمختبر الصوتي يؤكد ذلك ، إلا أنّ عبد

---

[٣] انظر الحركات في اللغة العربية (١/١٠).

[٤] انظر المرجع السابق (١/١١-١٢).

الصبور شاهين يرى أنّ الحركات تشترك مع الصّوامت في الهمس والجهر :" والجهر والهمس صفتان تشترك فيهما الصّوامت والحركات على السواء ، على الرغم من دقة ملاحظة الهمس في الحركات" ولم يذكر شاهين أدلة تدعم رأيه هذا ، وواضح كل الوضوح جنوح رأيه عن جادة الصواب ، فإذا كانت الحركات أوضح الأصّوات سمعياً فكيف نصفها بأنّها أصوات مهموسة ؟[1]

وما لختلاف تسمية هذه الأصوات بين العلماء ، والتدرج في رسمها، وكيفية معالجتها ، وطبيعتها من حيث التحول والانقلاب إلا دلالة على خصوصية هذه الأصوات ، وصعوبة مسلكها نسبة إلى غيرها .

---

[1] انظر الحركات في اللغة العربية (١/١١-١٢).

المبحث الثالث : الصوائت عند ابن جني :

ويتكون من مطلبين:

(أ) المطلب الأول : الصّوائت الطويلة .

(ب) المطلب الثاني : الصّوائت القصيرة .

فالصّوائت الطويلة :

يسميها القدامى (حروف المدّ) وهي الألف والواو والياء ، إذا سكنت مع مجانسة الحركة السابقة عليها مثل : وحيل بينهم – سور ونور – قال وباع والألف حرف مدّ دائماً لأنها لا تقع إلاّ بعد فتحة ، وهي الحركة المجانسة لها وإلاّ غيرت إلى حرف آخر ، والواو ، إن سبقت بضمة ، والياء ، إن سبقت بكسرة مثل : ضارب وضويرب ومصباح ومصيبيح في التصغير .

وعلى رأس علماء العربية الذين أرسوا دعائم الدراسات الصوتية وعالجوا هذا الموضوع بدقة أبو الفتح بن جني ، فقد وصف الأصوات الثلاثة باتساع المخارج بما يؤكد أنّها تنطلق مع الهواء دون عائق في أية منطقة من مناطق النطق ، سواء في الحلق أو الفم إلى الشفتين .

ووجهة نظر ابن جني في أنّها تنطلق مع الهواء دون عائق تتفق مع وجهة نظر الخليل في وصفه لهذه الأصوات الثلاثة فقد جعلها من الجوف وسماها حروفا هوائية.

وقد فرق ابن جني بين الحروف الثلاثة من حيث كيفية النطق بها ومواقعها من الحلق ، واللسان والشفتين وتلك نظرة دقيقة نلمحها في

أصوات اللين المعيارية ، ومقاييس أصوات اللين التي اتفق عليها المحدثون من علماء الأصوات واهتم بها دانيال جونز العالم اللغوي الانجليزي [1] ، فقد قال ابن جني :

إنّ الصوت الذي يجري في الألف مخالف للصوت الذي يجري في الياء والواو والصوت الذي يجري في الياء مخالف للصوت الذي يجري في الألف والواو ، والعلة في ذلك أنّك تجد الفم والحلق في ثلاث الأحوال مختلف الأشكال أمّا الألف فتجد الحلق والفم معها منفتحين غير متعارضين على الصوت بضغط أو حصر وأمّا الياء فتجد معها الأضراس سفلاً وعلواً قد اكتنفت جنبتي اللسان وضغطته وتفاج الحنك عن ظهر اللسان فجرى الصوت بعض الانفراج ليخرج فيه النفس ويتصل الصوت فلما اختلفت أشكال الحلق والفم والشفتين مع هذه الأحرف الثلاثة اختلف الصدى المنبعث من الصدر وذلك قولك في الألف : (أ ا) وفي الياء (أى) وفي الواو (أو) .[1]

وفي اعتقادي أنّ هذا الوصف دقيق يدل على إرهاف حس وسلامة طبع بحيث حدد الشكل العام لمخارج تلك الأصوات من اللسان والحلق ، والفم ، والشفة وأوضاع تلك الأعضاء حال النطق بهذه الأصوات بما فتح الطريق أمام المحدثين ليحددوا مخارجها بالآلات الحديثة بارتفاع أو انخفاض مقدم اللسان أو مؤخرة في الفم وتقسيمهم لها إلى أصوات لين ضيقة ومتسعة وأمامية وخلفية وغيرها .

---

[1] انظر أصوات اللغة العربية (٩٢/١) .

[1] انظر سر صناعة الإعراب (١٢٧/١).

فالصوائت القصيرة :

هي الحركات القصيرة وقد اعتبرها القدامى أبعاض حروف المدّ – الألف والواو والياء المشار إليها فيما سبق – فكما أنّ هذه الحروف ثلاثة : فكذلك الحركات ثلاث وهي : الفتحة والكسرة والضمة ، فالفتحة بعض الألف ، والكسرة بعض الياء ، والضمة بعض الواو .[٢]

وقد سمى النحاة كلا منها حرفا صغيراً ينتسب إلى حروف المدّ السابقة وقد ساق ابن جني أدلة كثيرة تؤيد أنّ الحركات أبعاض حروف المدّ وهي :

(١) أنّك متى أشبعت واحدة منهن حدث بعدها الحرف الذي هي بعضه وذلك نحو فتحة عين (عَمر) فإنّك أشبعتها حدثت بعدها ألف فقلت (عامر) وكذلك كسرة عين (عِنب) إن أشبعتها نشأت بعدها ياء ساكنة وذلك قولك (عنيب) وكذلك ضمة عين (عُمر) لو أشبعتها لأنشأت بعدها واواً ساكنة وذلك قولك (عومر) فلولا أنّ الحركات أبعاض لهذا الحروف و أوائل لها لما تنشأت عنها ولا كانت تابعة لها [٣] ، ويؤكد ذلك عندك أيضاً أنّ العرب ربما احتاجت في إقامة الوزن إلى حرف مجتلب ليس من لفظ البيت فتشبع الفتحة فيتولد من بعدها الألف وتشبع الكسرة فتولد من بعدها ياء وتشبع الضمة فتتولد من بعدها واو أنشدها أبو علي لابن هرمة يرثي ابنه :

---

[٢] انظر سر صناعة الإعراب (١/١٩).

[٣] انظر المرجع السابق (١/٢) ، والصوتيات اللغوية (١/١٢٨).

وأنتَ من الغوائل حين تُرمَى ومن ذمّ الرجال بمُنْتَزاح[1]

أراد بمنتزح ، فأشبع فتحة الزاي فحدثت بعدها ألف ، ومثله قول الفرزدق :

تَنْفي يداها الحَصَى في كل هاجرةٍ نفيَ الدَّراهِيمِ تَنْقادُ الصَّيارفِ[2]

---

[1] هذا البيت من كلام ابن هرمة ، واسمه ابراهيم بن علي ، شاعر من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية ، وهو من كلمة يرثي فيها ابنه وقد أنشده ابن منظور (ن ز ح) ونسبه اليه وانشده ابن جني في سر الصناعة (٢٩/١) وقال قبل انشاده ((وانشدنا ابو علي لأبن هرمة يرثي ابنه)) آه ، و ((منتزاح)) مصدر ميمي فعله ((انتزح ينتزح)) اي بعد وتقول ((انت بمنتزح من كذا)) تريد انت ببعد منه او انت في مكان بعيد منه والاستشهاد بالبيت في قوله ((بمنتزاح)) فإن اصله ((بمنتزح)) لكنه اضطر لإقامة وزن البيت اشبع فتحة الزاي فنشأت من هذا الاشباع الف ، انظر الانصاف في مسائل الخلاف (٤٠/١-٤١).

[2] انظر هذا البيت من كلام الفرزدق همام بن غالب وقد انشده ابن منظور (ص ر ف - د ر ه م) منسوبا له وانشده ابن جني في سر الصناعة (٢٨/١) وهو من شواهد سيبويه (١٠/١) وهو من شواهد كتاب همع الهوامع (رقم ٥٦٧) ةابن عقيل النهار ويشتد الحر وتتقاد معناه وتبعد و ((يداها)) اي يدا الناقة التي يصفها و ((هاجرة)) هي الوقت حين ينتصف النهار ويشتد الحر و ((تتقاد)) احد مصادر نقد الدراهم ينقدها نقداً اذا ميز رديئها من جيدها و ((الصيارف)) فإن الأصل بوزن جعفر -- وهو الخبير =

أراد : الصيّارف ، فأشبع الكسرة فتولد عنها ياء ، فأمّا الدراهيم فلا حجة فيه لأنّه يجوز أن يكون جمع درهام ، وأنشدنا أيضاً :

اللهُ يَعلَم أنّا في تَلفُّتِنا يَوْمَ الفِرَاقِ إلى إخْوَانِنَا

وإنني حيثما يثري الهوى بصري من حيثما سلكوا أدنو فأنظور(٢)

بالنقد الذي يبادل على بعضه ببعض والاستشهاد به في قوله : ((الدراهيم)) و ((الصيارف)) فإن الأصل الدراهم والصيارف فأشبع كسرة الهاء في الدراهم وكسرة الراء في الصيارف فتولدت عن كل اشباع منهما ياء وهذا تام الدلالة في الصيارف اما في الدراهيم فقد يقال : انه جمع درهام لا درهم – كما نبه اليه المؤلف – فالإشباع والتوليد في المفرد والخطب ذلك سهل انظر الانصاف في مسائل الخلاف (٤٣/١).

(٢)انظر أنشد ابن منظور هذين البيتين في اللسان (ش ر ى) وانشد أولهما في (ص و ر) من غير عزو وانشدهما ابن جني في سر الصناعة (٢٩/١) من غير عزو ايضا وانشدهما الرضي وقد شرحهما البغدادي في الخزانة (٥٨/١ بولاق) ولم يعزهما وكلهم يروى البيتين ببعض اختلاف في بعض الفاظهما وسننبه عليه وصور جمع أصور وهو وصف فعله صور يصور صوراً – على مثال فرح يفرح فرحاً – ومعناه المائل العين وروى ابن منظور ((وأنني حوثما يشرى الهوى بصري)) وحوثما : لغة في حيثما ، و ((يشرى)) مضارع اشراه الى ناحية كذا بمعنى اماله وهو يتجه في التفاته الى الجهة التي يسلكها احبته ومحل الاستشهاد قوله ((فأنظور)) فإنه اراد (فإنظر) لكنه لما كان محتاجاً الى الواو في القافية =

يريد أنظر فأشبع ضمة الظاء فنشأت عنها واو .

ومن هنا "سميت تلك الأصوات الناقصة حركات لأنّها تقلق الحرف الذي تقترن به الحروف التي هي أبعاضها ، فالفتحة تجتذب الحرف نحو الألف والكسرة تجتذبه نحو الياء والضمة تجتذبه نحو الواو ولا يبلغ الناطق بها مدى الحروف التي هي أبعاضها ، فإن بلغ بها مداها تكلمت له الحركات حروفاً أعنى ألفاً وياء وواواً".[٤]

(٢) أنّك لو تكلفت الكسرة قبل الواو الساكنة المفردة أو الضمة قبل الياء الساكنة المفردة لتجشمت فيه مشقة لا تجدها مع الحروف الصحاح وذلك نحو فعل من القول والطول وأصله أن تقول قول وطول بكسر الاول ثم تستثقل ذلك فتقلب الواو إلى الكسرة قبلها فتقول : ياء قيل وطيل وقد قالتها العرب مقلوبين هكذا ونحو ميزان وميعاد وميقات كل هذه من الواو في وزن ووقت ووعد وكذلك موسر وموقن وأصلها ميسر وميقن فكرهوا الياء بعد الضمة فأبدلوها واواً ، وكذلك إن انكسر ما قبل الألف أو الضم قلبت للكسرة ياء وللضمة واو وذلك في قراطيس إنما هي بدل من ألف قرطاس والواو في ضويرب إنّما هي بدل من الألف في ضارب ، وإنما قلبت هذه الحروف بعد هذه الحركات لأنّك إذا بدأت بالكسرة فقد جئت ببعض الياء وأنت بتمامها فإذا تراجعت عنها

أشبع الضمة التي على الظاء فنشأت الواو ، انظر الانصاف في مسائل الخلاف (٣٩/١) .

[٤] انظر سر صناعة الإعراب (٢٧/١-٣٠) والخصائص (٣١٥/٢-٣١٦).

إلى الواو فقد نقضت أول قولك بآخره وخالفت بين طرفيه وكذلك إذا بدأت بالضمة ثم جئت بعدها بالياء فقد جئت بأمر غير المتوقع لأنّك لمّا جئت بالضمة توقعت الواو فإذا عدلت إلى الياء فقد ناقضت بآخره لفظك أوله.[1]

(٣) وإذا كانت الحروف الساكنة تطول بالتشديد ويمتدّ نطقها مثل شبّ ودبّ وكذلك المدغمة فيها بعدها مثل النون الساكنة مع الحروف التي تخفى معها كان هذا أولى بحروف المدّ فإنّك تقوّل مع الإدغام شّابة ودابّة ويطيب بكر ويسير راشد وتمود الثوب وقد قوص زيد بما عليه وكذلك إذا وقعت بعدهن الهمزة ازددن طولاً وامتداداً وذلك نحو يشاء ويداء[2]ويسوء ويهوء [3]ويجيء ويفيء ...أفلا ترى إلى زيادة المدّ فيهن بوقوع الهمزة والمدغم بعدهن وهن في كلا موضعيهن يسمين حروفا كوامل فإذا جاز ذلك فليست تسمية الحركات حروفا صغارا بأبعد في القياس منه[4].

---

[1]انظر سر صناعة الاعراب (١/١٩-٢٠) الدراسات اللهجية والصوتية (١/٣٢٧) والصوتيات اللغوية (١/١٢٨).

[2] داء الرجل يداء – بوزن شاء يشاء – اذا صار في جوفه داء ، انظر الصوتيات اللغوية (١/١٣٠).

[3]هاء بنفسه إلى المعالي يهوء هوءا : رفعها وسما بها ، انظر المرجع السابق (١/١٣٠).

[4]انظر : سر صناعة الإعراب (١/١٩-٢٠) ، الدراسات اللهجية والصوتية (١/٣٢٧) ، والصوتيات اللغوية (١/١٢٨-١٣٠) .

وإطالة صوت اللين في هذه الحالة محافظة عليه لئلا يتأثر بمجاوزة الهمزة أو الإدغام لأنّ الجمع بين صوت اللين والهمزة كالجمع بين متناقضين إذ الأول يستلزم أن يكون مجرى الهواء معه طليقاً وأن تكون فتحة المزمار حين النطق به منبسطة منفرجة في حين أن النطق بالهمزة يستلزم انطباق فتحة المزمار انطباقا محكماً يليه انفراجها فجأة ، فإطالة صوت اللين مع الهمزة يعطي المتكلم فرصة ليتمكن من الاستعداد للنطق بالهمزة التي تحتاج إلى مجهود عضلي كبير وإلى عملية صوتية تباين كل مباينة الوضع الصوتي الذي تتطلبه أصوات اللين وكذلك حين يلي صوت مدغم فطبيعة اللغة العربية تستلزم قصر أصوات اللين الطويلة حين يليها صوتان ساكنان فبولغ في طوله لئلا تصيبه تلك الظاهرة التي شاعت في اللهجات العربية قديمها وحديثها وهذا التأثر بالأصوات المتجاورة يلاحظ في بعض اللّغات الأجنبية – كما هو في العربيّة – فقد لاحظ المحدثون أنّ صوت اللين يزداد طولاً إذ وليه صوت مجهور فصوت اللين (i) في الكلمة الانجليزية (bid) أطول منه في الكلمة (pit) وكذلك لاحظوا أن الصوت الساكن يكون أطول إذا سبقه صوت لين قصير والعكس بالعكس فالنون في (pin) (men) والنون في (men) أقصر من الاثنين ، لأنّ صوت اللين (a) أطول من (e) وهذا أطول منه (i)[1] .

وما حكاه ابن جني هو ما يسميه القراء بالمدّ المتصل ، وهو : ما وقع فيه الهمز مع المدّ في كلمة واحدة والمدّ اللازم الضروري وهو: ما

---

[1] انظر : الأصوات اللغوية (١/١٠٨-١٠٩).

وقع فيه بعد حرف المدّ ساكن أصيل [٢]، والمدّالعارض للسكون وهو : ما جاء فيه بعد حركة المدّ سكون عارض[٣] .

(٤) صوت اللين كما يطول – في بعض الأحيان – يقصر أيضاً في أحيان أخرى وهذا يدل على أنّ الحركة وحرف اللين متشابهان إلى حد كبير فقد حذفوا هذه الحروف للجزم فقالوا : لم يخشَ ولم يسعَ ولم يرمِ ولم يغزُ وقد اعتبر ابن جني ذلك الحذف نظيراً لحذف الحركات في نحو : لم يقمْ ولم يقعدْ ، فقد أجروا – إذا – الحرف مجرى الحركة .

(٥) وكذلك أجرى العرب الحركة مجرى الحرف فأجازوا صرف هند اسم امرأة معرفة فإذا تحرك الأوسط منعوه الصرف معرفة

---

[٢]ساكن اصيل : اي لا يتغير سكونه وصولاً وقفاً ويكون مشدداً مثل : الحاقة ودابة ومخففاً مثل أوائل السور : صاد – قاف إلخ وقراءة (ومحياي) بسكون الياء انظر الصوتيات اللغوية (١٣١/١) والاصوات اللغوية (٩٦/١).

[٣]سكون عارض : هو الذي يعرض للوقف او الادغام مثل الرحمن ونستعين ويوقفون حال الوقف بالسكون او الاشمام فيما يصح فيه وهنا يسمى بالعارض المظهر والعارض المدغم نحو : قال لهم الرحيم ملك الصافات صفا عند ابي عمرو اذا ادغم (ومنه يطيب بكر ويسير راشد فيما اورده ابن جني) انظر الصوتيات اللغوية (١٣١/١) والاصوات اللغوية (٩٦/١).

البتة فصارت الحركة في منع الصرف بمنزلة الياء في زينب والألف في عناق ونحوهما في منع الصرف [٤]

(٦) ومن مشابهة الحركة للحرف أنّك تفصل بها ولا تصل إلى الإدغام معها كما تفصل بالحرف ولا تصل إلى الإدغام معه وذلك قولك وتد ، ويطد فحجزت الحركة بين المتقاربين كما يحجز الحرف بينهما نحو شمليل وحبرير[٥]

(٧) ومن ذلك عندي (عند ابن جني) أنّ حرفي العلة الياء والواو قد صحا في بعض المواضع للحركة بعدهما كما يصحان لوقوع حرف اللين ساكنا بعدهما وذلك نحو : القود والحركة والخونة والغيب والصيد وحول وروح و (إنّ بيوتنا عورة) فيمن قرأ كذلك – اي بكسر الواو – فجرت الياء والواو هنا في الضمة لوقوع الحركة بعدهما مجراهما فيها لوقوع حرف اللين ساكناً بعدهما وذلك نحو :القواد والحواكة والخوانة والغياب والصياد وحويل ورويع إنّ بيوتنا عويرة ، وكذلك ما صح من نحو قولهم هيؤ الرجل من الهيئة هو جارٍ مجرى صحة هيؤ لو قيل، فاعرف ذلك مذهباً في صحة ما صح من هذا النحو لطيفاً غريباً [١].

---

[٤]انظر سر صناعة الاعراب (٣٠/١) والخصائص (٣١٩/٢) الدراسات الصوتية واللهجية (٣٢٩/١).

[٥]ناقة شمليل سريعة ، والحبرير الجمل الصغير ، انظر : الخصائص (٣٢٠/٢)، والمرجع السابق (٣٢٩/١).

[١]انظر الخصائص (٣٢١/٢) الصوتيات اللغوية (١٣٣/١).

(٨) ومن ذلك أنّك إذا أضفت الرباعي المقصور أجزت إقرار الألف وقبلها واواً نحو الإضافة إلى حبلى إن شئت قلت حبلى وهو الوجه وإن شئت حبلويّ فإذا صرت إلى الخمسة حذفت الألف البتة أصلاً كانت أو زائدة وذلك نحو قولك في حُبارَى : حُبارِى، وفي مصطفى: مصطفيَ وكذلك إن تحرك الثاني من الرباعي حذفت ألف البتة وذلك قولك في جمزَى : جمزيَ وفي بشكَى : بشكِيَ ألا ترى إلى الحركة كيف أوجبت الحذف كما أوجبه الحرف الزائد على الأربعة فصارت حركة عين حمزَى في إيجابها الحذف بمنزلة ألف حُبارى وياء خَيزلى[٢].

(٩) ومن مضارعة الحرف للحركة أنّ الأحرف الثلاثة الألف والياء والواو إذا اشبعن ومطلن أدين إلى حرف آخر غيرهن إلا أنه شبيه بهن وهو الهمزة ألا تراك إذا مطلت الألف أدتك إلى الهمزة فقلت :آء وكذلك الياء في قولك : إيء وكذلك الواو في قولك : أوء ، فهذه كالحركة (إذا مطلتها) أدتك إلى صورة أخرى غير صورتها وهي الألف والياء والواو في منتزاح والصياريف وأنظور وهذا غريب موضعه .

(١٠) ومن ذلك أن أقعد الثلاثة في المدّ لا يسوغ تحريكه وهو الألف فجرت – لذلك – مجرى الحركة ألاّ ترى أنّ الحركة لا يمكن تحريكها فهذا وجه أيضاً من المضارعة فيها .[٣]

(١١) ومن ذلك أنّ تاء التأنيث في الواحد لا يكون ما قبلها إلا مفتوحاً نحو حمزة وطلحة وقائمة ولا يكون ساكناً فإن كانت الألف

---

[٢]انظر الخصائص (٣١٩/٢) وخَيزلى : مشية في تثاقل.

[٣]انظر المرجع السابق (٣١٨/١).

وحدها – من بين سائر الحروف – جازت وذلك نحو قطاه وحصاه وأرطاه وحبنطاة أفلا ترى إلى مساواتهم بين الفتحة والألف حتى كأنها هي هي وهذا يدل على أنّ أضعف الأحرف الثلاثة الألف دون أختيها لأنها قد خصت هنا بمساواة الحركة دونها .[٤]

(١٢) حذفت تلك الحروف كما تحذف الحركات لذلك وذلك قوله:

فألحقت أخراهم طريق ألاهمُ كما قيل نجم خوى(١) متتابع(٢)

وصاني العجاج فيما وصّني(٣)

---

[٤]انظر الخصائص (٣١٨/٢) والدراسات اللهجية والصوتية (٣٢٨/١).

[١]خوت النجوم واخوت وخوت محلت او سقطت ولم تمطر في نوئها انظر اللسان (٢٧٠/١٨).

[٢]انظر انشده ابن جني من قول الأسود بن يعفر فإنه أراد أولاهم استخفافاً كما تحذف الحركة لذلك في قوله قد بدا هنك من المئزر

[٣]هذا بيت من الرجز المشطور من كلام رؤية بن العجاج وقد انشده ابن منظور (و ص ى) وعزاه إليه وتقول أوصيت الرجل ايصاء ووصيته بالتضعيف توصية اذا عهدت إليه وأوصيت له بشيء وقد أوصيت إليه اذا جعلته وصيك وتواصى القوم أوصى بعضهم بعضاً ومحل الاستشهاد بالبيت قوله ((وصني)) فإنه أراد ان يقول ((وصّاني العجاج فيما وصاني)) بالألف في الفعل الثاني كما جاء بها في الفعل الاول فلم يتأتَ له فحذف الألف ليستقيم له الوزن واتفاقية جميعاً انظر الانصاف في مسائل الخلاف (٢١/١).

يريد فيما وصاني فحذفت الألف من وصّاني الثانية وحذفت الحركات للتخفيف ونظيره من حذف الحركات قوله :

فاليوم أشربْ مستحقب إثماً من الله ولا واغل(٤)

وقد قال ابن جني : فقد ثبت بما وصفناه في حال هذه الأحرف أنّها توابع للحركات ومنشئة عنها وأنّ الحركات أوائل لها وأجزاء منها وأنّ الألف فتحة مشبعة والياء كسرة مشبعة والواو ضمة مشبعة(٥).

وهذه الأدلة التي ساقها ابن جني بما فيها من فلسفة لغوية ونحوية خرجت بهل عن الدقة أحيانا تدل على عمق الباحث وسعة المادة اللغوية والتمكن منها ولا غرو فابن جني حاز قصب السبق في هذا المضمار .

والذي نأخذه من كلامه هذا أنّ أصوات اللين قصيرة وطويلة هي الفتحة والضمة والكسرة فألف المدّ هي في الحقيقة فتحة طويلة و واو المدّ ضمة طويلة وياء المدّ كسرة طويلة أيضا ، وهي دون مدّ حركات قصيرة والفرق بينها فرق في الكمية فقط وفي الوقت الذي يستغرقه النطق بكل منها وهذه نظرة دقيقة وعلمية صائبة أخذها المحدثون عن

---

(٤)انشده امرؤ القيس ((من السريع)) على انه اراد اشرب غير اسكن الباء وجعل رب غ مثل عضد ولما جاز عندهم عضْد وعضُد رب غ عليه لعلم ان هذا الوجه اذا استعمل في الكلام لم يلحن أحد واستغني عن الاعراب ، انظر التذكرة الحمدونية (١٨٧/٧) رقم الطبعة (١).

(٥)انظر سر صناعة الاعراب (٢٦/١-٢٧) الصوتيات اللغوية (١٣٥/١-١٣٦).

عالمنا الكبير ولم ينتبه إلى هذه النظرية العلمية بعض القدماء بل ضلوا الطريق أحياناً حين اعتبروا وجود حركات قصيرة قبل حروف المدّ ففي كلمة (عالم) يعتبرون وجود فتحة قصيرة على العين وفي (سعيد) يعتبرون وجود كسرة تحت العين أيضا وفي (عمود) يعتبرون وجود ضمة على الميم والواقع أنّهم بعدوا عن الصواب في هذا التصور لأنّه لا وجود للحركات القصيرة في هذه المواقع بل الموجود حركات طويلة هي في الأول فتحة طويلة وفي الثاني كسرة طويلة بمقتضاها الذي وضعت فتحة قبل الألف في الكلمة الأولى وكسرة قبل الياء في الثانية وضمة قبل الواو في الثالثة وكان من نتيجة هذا التصور أن اعترفوا هنا بوجود ألف ، وواو ، وياء فعالم مكونة من عين مفتوحة + ألف + ل مكسورة + م وسعيد مكونة من س مفتوحة + ع مكسورة + ياء + دال وعمود مكونة من عَ مفتوحة + مُ مضمومة + واو + دال .

والواقع أنّها مكونة كما يلي :

عالم تتكون من ع + فتحة طويلة + ل + كسرة قصيرة + م .

سعيد تتكون من س + فتحة قصيرة + ع + كسرة طويلة + د .

عمود تتكون من ع + فتحة قصيرة + م + ضمة طويلة + د .

ومما جره الخلط عليهم من أخطاء في هذا المجال أنّهم رأوا أنّه في بعض الأحيان لا يكتب شيء البتة بين الحروف الصامتة نحو فعل وأحياناً يكتب بينها حرف من حروف المدّ نحو فاعل فلم يدروا أنّ الحالتين سيان في أنه تنطق بعد الفاء حركة في كلتيهما إلا أنها مقصورة في الأولى وممدودة في الثانية بل ظنوا أنّه وإن كانت الفاء متحركة في كلتا

الحالتين أضيف إلى الحركة في الحالة الثانية شيء غيرها هو الألف وهذه الضلالة هي منبع ضلالات ومشكلات كثيرة .[1]

[1] انظر الصوتيات اللغوية (١/١٣٥-١٣٦).

المبحث الرابع : (محل الحركة من الحروف) :

وتبعاً لأنّ ابن جني أكّد كون الحركات أبعاض حروف المدّ وتلك نظرة سديدة نجده يخوض في نقطة لها علاقة بالبحث فإذا كان الأمر على ما قرره من أنّ الحركات أبعاض لحروف المدّ فإنّه لابد إذا من ترجيح القول السائد بأنّ الحركة تكون بعض الحرف ولذلك قال في الخصائص : وقد كنا قلنا فيه قديماً قولاً آخرا مستقيماً وهو أن الحركة قد ثبت أنّها بعض حرف ، فالفتحة بعض الألف والكسرة بعض الياء والضمة بعض الواو فكما أنّ الحرف لا يجامع حرفاً آخر فينشآن معا في وقت واحد فكذلك بعض الحرف لا يجوز أن ينشأ مع حرف آخر في وقت واحد لأنّ حكم البعض في هذا مجرى حكم الكل [1] ...

فهذا يفسد قول من قال أنّ الحركة تحدث مع حرفها المتحرك بها أو قبله أيضا ألاّ ترى أنّ الحرف الناشئ عن الحركة لو ظهر لم يظهر إلا بعد الحرف المحرك بتلك الحركة وإلا فلو كانت قبله لكانت الألف في نحو ضارب ليست تابعة للفتحة لاعتراض الضاد بينهما والحس يمنعك ويحظر عليك أن تنسب إليه قبوله اعتراض معترض بين الفتحة والألف التابعة لها في نحو ضارب وقائم ونحو ذلك، وكذلك القول في الكسرة والياء والضمة والواو إذا تبعتاها وهذا في البيان والبروز إلى حكم العيان [2]وقد عرض ابن جني للآراء الثلاثة في محل الحركة من الحرف هل

---

[1] انظر الصوتيات اللغوية (١-٣٣-٣٤).

[2] انظر الخصائص (٣٢٧/٢).

هي قبله أو معه أو بعده وساق أدلة كل رأى ثم رجح كونها بعده بأدلة اعتمد عليها ورضى بها ونحن هنا نذكر تلك الآراء وموقفنا منها .

ذهب سيبويه إلى أنّ الحركة تحدث بعد الحرف [٣] وقال غيره معه وذهب غيرهما إلى أنّها تحدث قبله ويتكون هذا المبحث من أربعة مطالب :

---

[٣] انظر الصوتيات اللغوية (١/١٣٧).

المطلب الأول : دليل القائلين بأنّ الحركة تحدث قبل الحرف :

هو إجماع النحويين على قولهم أنّ الواو يَعِد ويزن ونحو ذلك إنّما حذفت لوقوعها بين ياء وكسرة يعنون في يوعد ويوزن ونحوه (لو خرج على أصله) فقولهم بين ياء وكسرة يدل على أنّ الحركة عندهم قبل حرفها المحرك بها ألا ترى أنّه لو كانت الحركة بعد الحرف كانت الواو في يوعد بين فتحة وعين وفي يوزن بين فتحة وزاي فقولهم بين ياء وكسرة يدل على أنّ الواو في نحو يوعد عندهم بين الياء التي هي أدنى إليها من فتحتها وكسرة العين التي هي أدنى إليها من العين بعدها فتأمل ذلك[1].

---

[1] انظر الخصائص (٣٢٥/٢) والصوتيات اللغوية (١٣٧/١).

المطلب الثاني : دليل القائلين بأنّ الحركة تحدث مع الحرف :

قال أبو علي[٢]: يقوي قول من قال : إنّ الحركة تحدث مع الحرف أن النون الساكنة مخرجها مع حروف الفم من الأنف والمتحركة مخرجها من الفم فلو كانت حركة الحرف تحدث من بعده لوجب أن تكون النون المتحركة أيضاً من الأنف وذلك أنّ الحركة إنما تحدث بعدها فكان ينبغي ألا تغني عنها شيئاً لسبقها هي لحركتها[٣].

وروى ابن جني في سرّ الصناعة عن أبي علي أيضاً أنّه قال مثل ذلك الألف فهي إذا تحركت انقلبت همزة ثم عقب على كل ذلك كله – هناك – بقوله : وهو لعمري استدلال قوي.[٤]

---

[٢] هو الحسن بن احمد بن عبد الغفار بن سليمان ابو علي الفارسي أوحد زمانه في علم الأصوات العربية كان كثير يقول هو فوق المبّرد أخذ النحو عن جماعة من أعيان هذا الشأن كأبي إسحاق والزجاج وأبي بكر مبرمان وأبي بكر الخياط وطوف كثيراً من بلاد الشام ومضى الى طرابلس فأقام بحلب مرة وخدم سيف الدولة الحمداني الى بغداد فأقام بها الى الى أن مات انظر معجم الأدباء (٣٦٨).

[٣]انظر الخصائص (٣٢٤/٢) وسر صناعة الاعراب (٣٧/١) الصوتيات اللغوية (١٣٨/١) وأصوات اللغة العربية (١٠٠/١).

[٤]انظر سر صناعة الاعراب (٣٧/١).

المطلب الثالث : أدلة القائلين بأنّ الحركة تحدث بعد الحرف :

الحركة تأتي فاصلة بين المثلين أو المتقاربين مانعة من إدغام الأول في الآخر فالمثلان نحو المل والضفف والمشش كما تفصل بينهما نحو الملال والضفاف والمشاشْ [٥] ونحو ذلك قولك قصص ومضض وطلل وسرر وحضض ومرر وقدد ((فلولا أنّ حركة الحرف الأول في هذين المثلين بعده لما فصلت بينه وبين الذي هو مثله بعده ولولم تفصل لوجب الادغام لأنه لا حاجز بين المثلين فإن ظهر هذان المثلان ولم يدغم الأول منهما في الآخر منهما فظهورهما دلالة على فصل واقع بينهما وليس ههنا فصل البتة غير الحركة المتأخرة عن الحرف الأول [٦] وكذلك شددت ومددت فلن تخلو حركة الأول من أن تكون قبله أو معه أو بعده فلو كانت في الرتبة قبله لما عجزت عن الادغام ألَا ترى أنّ الحرف المحرك بها كان يكون على ذلك بعدها حاجزاً بينها وبين ما بعده من الحرف الآخر فهذا أمر كما تراه واضح في المثلين [١].

وأمّا المتقاربان فنحو قولك في وتد إذا سكنت التاء لإرادة الإدغام ود فكانت الحركة في التاء قبل إسكانها فاصلة بينها وبين الدال فوجب

---

[٥] انظر الخصائص (٣٢٢/٢).

[٦] انظر :سر صناعة الإعراب (٣٣/١).

[١] انظر: المرجع السابق (٣٤/١)،الصوتيات اللغوية (١٢٩/١)،وأصوات اللغة العربية (١٠٠/١-١٠١).

لذلك الإظهار فلما سلبت التاء كسرتها وزالت التاء أن تكون حاجزة بينهما بعدها وسكنت واجتمع المتقاربان أبدلت التاء دالاً وأدغمتها في التاء بعدها كما تقول في اتعت داود فظهور التاء دالا وادغمها إذا سكنت دلالة على أنّ الحركة قد كانت بينهما وإذا كانت بينهما فهي بعد التاء لا محالة فهذه دلالة من القوة على ما ترى [٢].

(٢) قولهم ميزان وميعاد فقلب الواو ياء يدلّ على أنّ الكسرة لم تحدث قبل الميم لأنّها لو كانت حادثة قبلها لم تل الواو فكان يجب أن يقال موازن وموعاد وذلك أنك إنما تقلب الواو ياء للكسرة التي تجاوزها من قبلها فإذا كان بينها وبينها حرف لم تلها ،واذا لم تلها لم يجب أن تقلبها للحرف الحاجز بينهما[٣].

(٣) ودلالة أخرى تدلّ على أنّ حركة الحرف بعده وهي أنك إذا اشبعت الحركة تممتها حرف مدّ كما تقدم من قولنا في نحو ضرب وقتل إذا اشبعت حركة الضاد والقاف قلت ضارب وقاتل وضرب وقتل إذا اشبعت قلت ضورب وقوتل وكذلك ضراب وقتال إذا اشبعت قلت ضيرب وقيتال فكما أنّ الألف والواو والياء بعد الضاد والقاف فكذلك الفتحة والضمة والكسرة في الرتبة بعد الضاد والقاف لأنّ الحركة إذا كانت بعضها للحرف فالحرف كلّ لها ، وحكم البعض في هذا تابع لحكم الكل

---

[٢]انظر سر صناعة الإعراب (١/٣٤-٣٥) الخصائص (٢/٣٢٧).

[٣]انظر الخصائص (٢/٣٢٢) الصوتيات اللغوية (١/١٣٩) وأصوات اللغة العربية (١/١٠٠-١٠١).

فكما أنّ الحروف التي نشأت عن اشباع الحركات بعد الحروف المتحركة وهذا واضح مفهوم لمتأمله[٤].

[٤]انظر : سر صناعة الإعراب (١/٣٤)، والصوتيات اللغوية (١/٣٩)،وأصوات اللغة العربية (١/١٠٤).

المطلب الرابع : ردّ ابن جني على القائلين بأنّ الحركة تحدث قبل الحرف أو معه :

أولاً : تفنيده لأدلة المذهبين :

(١) ردّ على دليل المذهب الأول السابق [١] بأنه ليس معتقداً للنحوين من موضعين :

(أ) أنهم قد أطلقوا جميعاً القول بأنّ الواو حذفت من يعد ونحوه لوقوعها بين ياء وكسرة فلو كانوا يريدون المعنى الذي بنى عليه هذا الدليل لكانوا مناقضين وموافقين لمخالفهم وهم لا يعلمون، وهذا أمر مثله لا ينسب إليهم ولا يظن بهم فإذا كان كذلك علمت أنّ غرض القوم فيه ليس قدرته ولا ما تصورته وإنما هو أنّ قبلها ياء وبعدها كسرة وهما مستثقلتان فأما أن تماسا الواو وتباشراها على ما فرضته وادعيته فلا .

وهذا كثير في الكلام والاستعمال ، ألا ترى أنك تقول خرجت فسرنا فلما حصلنا بين بغداد والبصرة كان كذا فهذا كما تراه قول صحيح معتاد إلا أنه قد يقوله من حصل بدير العاقول – لعمري – بين بغداد والبصرة ، وإن كان أيضا بين جرجرايا والمدائن وهما أقرب إليه من بغداد والبصرة ، وكذلك الواو في يوعد هي – لعمري– بين ياء وكسرة وإن كان أقرب إليها منهما فتحة الياء والعين ، وكذلك يقال أيضا هو من عمره ما بين الخمسين إلى الستين فيقال ذلك في من له ٥٥ سنة فهي –

---

[١] انظر الصوتيات اللغوية (٣٩/١) واصوات اللغة العربية (١٠٤/١).

لعمري- بين الخمسين والستين إلا أن الأدنى إليها الأربع والخمسون والست والخمسون[٢].

وهذا الدليل يفهم من أنّهم اعتبروا وجود الياء بصرف النظر عن اعتبار الحركة بعدها واعتبروا وجود الكسرة بصرف النظر عن اعتبار الحرف المحرك بها فتحقق وجود الواو بينهما دون فاصل وهذا كاف لتحقق شرط الحذف[٣].

(ب) هذا موضع إنما يتحاكم فيه إلى النفس والحس ولا يرجع فيه إلى إجماع ولا سابق سنة ولا قديم ملة ، ألا ترى أن اجماع النحويين في هذا ونحوه لا يكون حجة لأنّ كل واحد منهم إنما يردك ويرجع بك فيه إلى التأمل والطبع لا إلى التبعية والشرع[٤].

(٢) ردّ على دليل المذهب الثاني – الذي قال به أستاذه أبوعلي [١]ووصفه بأنّه ساقط – عنده- عن رأي سيبويه – وهو أنّ الحركة تحدث بعد الحرف – وغير لازم له وردّ على ذلك بأنه لا ينكر أن يؤثر الشيء فيما قبله من قبل وجوده لأنه قد علم بأنه سيرد فيما بعد وذلك كثير، فمنه أنّ النون الساكنة إذا وقعت بعدها الباء قلبت النون ميما في اللفظ وذلك عمبر وشمباء في عنبر وشنباء فكما لا يشك في أنّ الباء

---

[٢]انظر : الخصائص (٣٢٦/٢).

[٣]انظر : الصوتيات اللغوية (١٤١/١)، وأصوات اللغة العربية (١٤٠/١)

[٤]انظر : الخصائص (٣٢٩/٢)..

[١]انظر : المرجع السابق (٣٢٤/٢) ، وانظر : (١٣٦).

في ذلك بعد النون قد قلبت النون قبلها فكذلك لا ينكر أن تكون حركة النون الحادثة بعدها تزيلها عن الألف إلى الفم .

بل إذا كانت الباء أبعد من النون قبلها من حركة النون فيها وقد أثرت على بعدها ما أثرته كانت حركة النون التي هي أقرب إليها وأشد التباسا بها بأن تجنبها وتنقلها عن الألف إلى الفم ، وهذا كما تراه واضح . ومما غير متقدما لتوقع ما يرد من بعده متأخرا ضمهم همزة الوصل لتوقعهم الضمةبعدها نحو أقتل ، أدخل ، استضعف ،أخرج، استخرج[٢] .

ثانيا : أدلة أخرى على فساد الرأيين :

(١) وما يفند المذهب الأول " أنّ الحركات لو كانت قبل الحرف لما جاز الإدغام في الكلام أصلا[٣] " ، لأن حركة الثاني كانت تكون قبله حاجزا بين المثلين [٤] ((ألا ترى أنك تقول قطع فتدغم الراء الأولى في الثانية ، ولو كانت حركة الطاء الثانية في الثانية لكانت حاجزة بين الطاء الاولى وبين الطاء الثانية ، ولو كان الأمر كذلك لما جاز إدغام الأولى في الثانية لأن الحركة على هذه المقدمة مرتبتها أن تكون قبل الطاء الثانية بينها وبين الاولى ، وإذا حجز بين الحرفين حركة بطل الإدغام ، فجواز الإدغام في الكلام دلالة على أن الحركة ليست قبل الحرف المتحرك بها)) .

---

[٢] انظر : الخصائص (٢/٣٢٤-٣٢٥).

[٣] انظر : سر صناعة الإعراب (١/٣٢)..

[٤] انظر : الخصائص (٢/٣٢٢)..

(٢) ومما يفند المذهبين معا : أننا لو أمرنا مذكرا من الطي ثم أتبعناه أمرا آخرا له من الوجل من غير حرف عطف لقلنا : اطوايجل، والأصل فيه : اطواوجل ، فلولا أنّ كسرة واو (اطو) في الرتبة بعدها لما قلبت واو (اوجل) ياء ، وذلك أنّ الكسرة إنما تقلب الواو لمخالفتها إياها في جنس الصوت ، فتجتذبها إلى ماهي بعضه ، ومن جنسه وهو الياء ، ولو كانت الكسرة في باب (اطو) قبل الواو لكانت الواو الأولى حاجزة بينها وبين الثانية كما كانت ميم ميزان تكون أيضا حاجزة بينهما على ما قدمنا[١].

ولا يجوز أن تكون الكسرة مع الواو المتحركة بها فإنّ الكسرة على هذا الاعتبار ليست أدنى إلى الواو الثانية من الواو الأولى، وهنا لا تقلب الواو الثانية ياء، لأنّ الكسرة إذا كانت تريد قلب الواو الثانية فإن الواو الأولى تتطلب بقاءها، وليست إحداهما أولى من الأخرى في تنفيذ ما تقتضيه ((فإذا تأدى الأمر في المعادلة إلى هنا ترافعت الواو والكسرة أحكامهما فكأن لا كسرة قبلها ولا واو، وإذا كان كذلك لم نجد أمراً تقلب له الواو الثانية ياء، فكان يجب على هذا أن تخرج الواو الثانية من اطواوجل صحيحة غير معتلة لترافع ما قبلها من الواو والكسرة أحكامها وتكافؤها [٢].

وإذا فقد دل قلب الواو الثانية من (اطواوجل) ياء حتى صارت (اطوايجل) على أن الكسرة أدنى إليها من الواو قبلها، وإذا كانت أدنى

---

[١] الصوتيات اللغوية (١/١٢٤) ، أصوات اللغة العربية (١/١٠٥) .

[٢] انظر: الخصائص (٢/٣٢٢-٣٢٥).

إليها كانت بعد الواو المحركة بها لا محالة، فهذا إسقاط قول من ذهب إلى أنها تحدث مع الحروف وقول من ذهب إلى أنها تحدث قبله، فإذا بطل هذان ثبت قول صاحب الكتاب وسقطت عنه فضول المقال.

وقد ردّ أبو البقاء – كما نقل السيوطي– الدليل الأول والثالث من أدلة ابن جني لتقوية رأي سيبويه في الحركة تحدث بعد الحرف قال : الجواب عن الأول أن الإدغام امتنع لتحصن الأول لتحركه لا لحاجز بينهما كما يتحصن بحركته عن القلب نحو عوض، وعن الثالث من وجهين أحدهما: أن حدوث الحرف عن الحركة كان لأنها تجانس الحرف الحادث، فهي شرط لحدوثه وليست بعضاً له، ولهذا إذا حذفت الحرف بقيت الحركة بحالها ولو كان الحادث تماماً للحركة لم تبق الحركة ومن سمى الحركة بعض الحرف أو حرفاً صغيراً فقد تجوز، ولهذا لا يصح النطق بالحركة وحدها، والثاني: لو قدرنا أن الحركة بعض الحرف الحادث لم يمتنع أن تقارن الحرف الأول كما أنه ينطق بالحرف المشدد حرفاً واحداً وإن كانا حرفين في التحقيق إلا أن الأول لما ضعف عن الثاني أمكن أن يصاحبه والحركة أضعف من الحرف الساكن فلم يمتنع أن يصاحب الحرف الحرف [٣].

تعقيب ورأي:

ومن استعراضنا لتلك الآراء نرى صحة الرأي القائل بأنّ الحركة تالية للحرف فكلمة كتب مكونة من ثلاث مقاطع مفتوحة هي (ك – ت – ب) يتكون كل منها في رأي المحدثين من: ساكن + لين قصير، والمقطع

[٣] انظر: الصوتيات اللغوية (١/١٤٤)، أصوات اللغة العربية (١/١٠٧).

الأول من باع وهو(با) مفتوح يتكون من: ساكن + لين طويل، وعالم مقطعين الأول مفتوح وهو (عا) ساكن + لين طويل.

كما أن الأدلة التي ساقها ابن جني تقوم على ذوق لغوي دقيق وإنّ الباحث ليدهش كيف يأتي بتلك النتائج الباهرة دون أن تتوافر لديه وسائل الدرس المعاصر في علم الأصوات، والاعتراضات الموجهة إلى هذا الرأي تتصادم مع حقائق الأشياء ومع ما أثبته العلم الحديث بالتجربة والأجهزة الدقيقة، وقد أوضح المستشرق الأستاذ برجستراسر سبب ضلال الأقدمين لعدم تصورهم ذلك[1].

واعتبار أنّ الحركة بعد الحرف نابع من النظرية الصّوتية أنّ الحركات أبعاض حروف المدّ التي تعدّ في نظر المحدثين أصوات لين قصيرة وطويلة كما أنّها صغيرة وكبيرة وبذا قال الخليل وسيبويه وابن جني وغيرهم.

والرأي القائل بأنّ حركة الحرف تحدث قبله غير سديد وذلك بالرجوع إلى الطبع والتأمل في النطق وإخراج الأصوات، فلا يمكن تصور ظهور الحركة قبل وجود حرف تعتمد عليه، فمثلاً إذا تعرضنا بالنطق الصوتي لمثل(ب – ت – ج – ق – ت – م). ونحو ذلك في ابتداء كلامنا لأحسسنا ظهور الحرف بصفته الساكنة قبل تصور ورود أي حركة قبله، وعلماء الأصوات تصوروا هذه الحقيقة واضحة عندما أرادوا ذوق الحرف ومعرفة همسه أو جهره تبعاً لهزه الأوتار الصّوتية وعدم هزه لها، فقالوا: إنه يؤتى بالحرف ساكنا مثل (ب) ويوضع الإصبع فوق

---

[1] انظر : المرجع السابق (١/١٤٤).

تفاحة آدم أو في الآذان أو توضع الكف فوق الجبهة وهنا يمكن الإحساس باهتزاز الأوتار وعدمه فيأخذ الحرف حكمه من الجهر أو الهمس [٢]، فكيان الصّوت يظهر دون وجود الحركة بل إنّ هذا الكيان هو الأساس الذي تعتمد عليه الحركة وتظهر بظهوره، فالحرف كالمحل للحركة وهي كالعرض فيه فهي لذلك محتاجة إليه ولا يجوز وجودها قبل وجوده [١]، ومن هنا قال النحويون إن الحركة تحل الحرف[٢].

وحقاً إلى الطبع واستعمال أجهزة النطق يتبين لنا عدم إمكان ظهور الحركة ظهوراً صوتياً قبل إحداث الحرف الذي سيتحرك بها، وقد كان رد ابن جني على دليل من قال بأن الحركة تحدث قبل الحرف رداً قوياً إلا أنني أعتقد أن الذي دعاهم إلى حذف الواو في مثل يعد ويزن هو المجاورة الصّوتية الطبيعية للياء والكسرة، فالياء مجاورة لها مجاورة مباشرة والفتحة لا تمنعها من هذه المجاورة وكذلك الحرف الذي بعدها، وهو العين مثلاً ظهر صوتياً مع الكسرة بعد الواو مباشرة فأدى إلى صعوبة حالت دون تمكن جهاز النطق من تأدية هذه الحروف متجاورة[٣].

---

[٢]انظر : الأصوات اللغويّه (٢١/١).

[١]انظر : سر صناعة الإعراب (٣٢/١).

[٢]انظر : المرجع السابق (٣٦/١).

[٣]انظر : الصّوتيات اللغويّة(١٤٦/١)، وأصوات اللغة العربيّة (١٠٧/١).

والرأي القائل بأن الحركة تحدث مع الحرف غير دقيق مع أنه يقارب الحقيقة، وسبب هذا لطف الأمر وغموض الحال [٤] على المتقدمين وقد أوضحته تجارب العلم الحديث، والذي يمكننا أن نقول به هو أن الحركة تحدث متصلة بالحرف اتصالاً مباشراً بحيث لا يمكن فصلها عنه، إذ هي التي تؤكد وجود الحرف وتبرزه وتجعله واضحاً سهل النطق، وهي مع ذلك تجتذبه إلى الحرف الذي هي بعضه من واو أو ياء أو ألف، وبذلك يزداد تمكن الحرف ووضوحه، وهذه الحركة ما هي إلا صوت لين قصير أو طويل به ينضج المقطع الصّوتي ويتم.

ومع ذلك لا يمكن الفصل بين الصّوت الساكن وصوت اللين فصلاً زمنياً بحيث يصدر هذا بعد ذلك، وهذا ما قررّه الدكتور نجا حين قال : ينبغي أن يعلم أن المقطع الصّوتي يضم اللونين (أصّوات اللين والأصّوات الساكنة) حال النطق به كما أنه لا يمكن تجزئته، فالحركة متصلة بالحرف وتابعة له لأنها هي التي تنفث فيه الحياة والوجود الصوتي، ولذلك قال الصّبان : المراد ((تبعيتها، له تبعية العارض للمعروض، لا تبعيتها في الوجود اللفظي، فالتبعية رتبية لا زمانية [٥])).

---

[٤] انظر الخصائص (٢/٣٢١).

[٥] انظر : الصّوتيات اللغويّة (١/١٤٦) ، وأصّوات اللغة العربيّة (١/١٠٩).

المبحث الخامس- أصوات المدّ عند ابن جني:

أصوات المدّ مع أنّها عنصر رئيس في اللغات ومع أنّها أكثر شيوعا فيها، لم يعن بها المتقدمون من علماء العربية. فقد كانت الإشارة إليها دائما سطحية، لا على أنها من بنية الكلمات، بل كعرض يعرض لها، ولا يكون منها إلا شطرا فرعيا. ولعلّ الذي دعا إلى هذا الانحراف أنّ الكتابة العربية منذ القدم، عنيت فقط بالأصوات الساكنة فرمزت لها برموز ثم جاء عهد عليها أحس الكتاب فيه بأهمية أصوات المدّ الطويلة، كالواو والياء الممدودتين. فكتبوهما في بعض النقوش والنصوص القديمة، وظلت الحال هكذا حتى وضعت أصوات المدّ القصيرة التي اصطلح القدماء على تسميتها بالحركات في العصور الإسلامية. فالكتابة التي ليست إلا وسيلة ناقصة للتعبير عن الأصوات اللغوية، صرفت القدماء عن أهمية أصوات المدّ فلم يرمز لها برموز في صلب الكلمات[1].

وقد أشار ابن جني في كتابه "سرّ صناعة الإعراب" إلى هذه الأصوات في قوله "اعلم أنّ الحركات أبعاض لحروف المدّ واللين وهي الألف والواو والياء. فكما أنّ هذه الحروف ثلاثة فكذلك الحركات ثلاث هي الفتحة والكسرة والضمة. وقد كان متقدمو النحاة رحمهم الله تعالى يسمون الفتحة والكسرة الياء الصغيرة والضمة الواو الصغيرة. وقد كانوا في ذلك على طريق مستقيمة. ألا ترى أنّ الألف والياء والواو اللواتي هن حروف توام كوامل، قد تجدهن في بعض الأحوال أطوال وأنتم منهن

---

[1] انظر: الأصوات اللغوية (٣٨/١).

في بعض؛ وذلك إذا وقعت بعدهن الهمزة والحرف المدغم نحو "يشاء"، "دابة" وهن في كلا الموضعين يسمين حروفا كوامل. فإذا جاز ذلك فليست تسمية الحركات حروفا صغارا بأبعد في القياس منه. ويدلك على أنّ الحركات أبعاض لهذه الحروف أنك متى أشبعت واحدة منهن حدث بعدها الحرف الذي هي بعضه. إلا أنّ هذه الحروف التي يحدثن لإشباع الحركات لا يكن إلا سواكن لأنهن مدّات والمدّات لا يحركن أبدا"[1].

هذا ما رواه ابن جني ، ومنه نرى أنّ القدماء قد أحسوا كما يحس المحدثون بانّ الفرق بين الفتحة وما يسمى بألف المدّ لا يعدو أن يكون فرقا في الكمية . وكذلك الفرق بين ياء المدّ وواو المدّ إذا قورنتا على الترتيب بالكسرة والضمة ليس إلا فرقا في الكمية ، فما يسمى بألف المدّ هي في الحقيقة فتحة طويلة ، وما يسمى بياء المدّ ليست إلا كسرة طوية ، وكذلك واو المدّ تعدّ من الناحية الصوتة ضمة طويلة ، فكيف النطق بالفتحة وموضع اللسان معها يماثل كل المماثلة كيفية النطق بما يسمى ألف المدّ ، مع ملاحظة فرق الكمية بينهما .

وذهب ابن جني إلى أن الصوت اللغوي إنما هو (عرض يخرج مع النفس مستطيلا حتى يعرض له في الحلق والفم والشفتين مقاطع تثنيه عن امتداده واستطالته فيسمى المقطع أينما عرض له حرفا، وتختلف أجراس الحروف بحسب اختلاف مقاطعها... فإن اتسع مخرج الحرف حتى لا يقتطع الصوت عن امتداده واستطالته استمر الصوت ممتدا... والحروف التي اتسعت مخارجهما ثلاثة: الألف ثم الياء ثم الواو وأوسعها

---

[1] انظر: سر صناعة الإعراب (١/١٧-١٨).

وأليفها الألف إلا أنّ الصوت الذي يجري في الياء مخالف للذي يجري في الألف والواو، والعلة في ذلك أنك تجد الفم والحلق في ثلاث الأحوال مختلف الأشكال أمّا الألف فتجد الحلق والفم معها منفتحتين غير معترضين على الصوت بضغط أو حصر وأما الياء فتجد معها الأضراس سفلا وعلوا قد اكتنفت جنبتي اللسان وضغطته وتفاج –أي تباعد– الحنك عن ظهر اللسان فجرى الصوت متصعدا هناك، فلأجل تلك الفجوة ما استطاع وأما الواو فتضم لها معظم الشفتين، وتدع بينهما بعض الانفراج ليخرج فيه نفسه، ويتصل الصوت، فلما اختلفت أشكال الحلق والفم والشفتين مع هذه الأحرف الثلاثة اختلف الصدى المنبث من الصدر)[1].

ويمكنا أن نلاحظ في هذا النص ما يأتي:

أنّ الأصوات اللّغوية على نوعين[2]:

الأول: نوع يتم إذا لم يعترض الهواء الخارج من الصدر شيء من الحلق والفم والشفتين، وهو يعني بذلك الصامت، ثم يذهب إلى أنّ اختلاف أصوات هذا النوع فيما بينها يرجع إلى اختلاف (أجراسها) باختلاف مواضع اعتراض الهواء.

الثاني: نوع يتم إذا لم يعترض الهواء الخارج من الصدر شيء من الحلق والفم والشفتين وأدرج تحت هذا النوع أصوات الألف والياء

---

[1] انظر: سر صناعة الإعراب (١/٦-٨).

[2] انظر: في الأصوات اللغوية دراسة في أصوات المد العربي (١/٨٦).

والواو، وهي إشارة دقيقة إلى حرية مرور الهواء إلى خارج الفم حرية تامة في أثناء أداء هذه الأصوات.

ثم ذهب إلى أنّ الاختلاف في تصويت هذه الأصوات إنما يرجع إلى اختلاف في جهاز النطق في أثناء أدائها تعليل سليم جدا، ويكاد يطابق ما يذهب إليه البحث الحديث من أنّ الاختلاف في التصويت ههنا إنما يرجع إلى اختلاف ما اصطلح عليه بحجرة الرنين داخل جهاز النطق.

لكننا نلاحظ أيضا أنّ ابن جني لا يحدد هذا الاختلاف في جهاز النطق بتغير وضع عضلة اللسان في داخل الفم في أثناء أداء هذه الأصوات، بل يذهب في تفسيره لحدوث كل واحد من هذه الأصوات الثلاثة إلى فصل كل وضع يتخذه جهاز النطق في أثناء أداء أي صوت منها عنه في أثناء أداء أي صوت مد آخر، وهو أمر قد يعلّل بعدم فهم وظيفة عضلة اللسان في أداء هذه الأصوات، وعلى أية حال نلمح ههنا أنّ ابن جني قد فرق تفريقا واضحا بين ما يمكن أن نطلق عليه (القوة التصويتية) في الصوامت، و(القوة التصويتية) في أصوات المدّ، ولعلّه من أجل ذلك استعمل للدلالة على كل ضرب من هذه القوة التصويتية مصطلحا بعينه فنراه يشير بمصطلح "جرس" إلى تلك القوة التصويتية التي في الصوامت ويبدو أنّه قد فهم من هذا المصطلح أنّ القوة التصويتية في هذه الأصوات إنّما ترجع إلى ظاهرة الاحتكاك، بل هو يشير إلى ذلك بشيء من الصراحة، إذ يذهب إلى أنّ (أجراس) الحروف تختلف باختلاف مقاطعها (أي أماكن إعاقة الهواء في أثناء نطقها)، ثم يشير إلى القوة التصويتية في أصوات المدّ بمصطلح "صدى" وهو مصطلح دقيق في التلميح إلى كون هذه القوة لم تنتج من جراء حدوث

احتكاك[1]. ولم يرد في هذا النص السابق ذكر لطبيعة أصوات المدّ القصيرة، ولعلّ ذلك راجع إلى الفكرة العربية التي تذهب إلى أنّ هذه الأصوات القصيرة إنما هي أبعاض من الألف والياء، وهو ما نجد ابن جني يشير إليه في مواضع شتى، فيذهب إلى أنّ الفرق بين أصوات المدّ القصيرة وأصوات الألف والواو والياء إنما الاختلاف في الكمية حسب، (وإنّ الحركة حرف صغير، ألا ترى أنّ من متقدمي القوم من كان يسمي الضمة الواو الصغيرة والكسرة الياء الصغيرة والفتحة الألف الصغيرة)[2].

لكننا نلاحظ من جانب آخر أنّ فكرة "الكمية" ههنا تؤثر بعض التأثير في نظرة ابن جني إلى هذه الأصوات، بجانب ما تكلمنا عليه سابقا من أنّ هذه الأصوات تؤلف نظام (الزوائد) في النظام الصوتي العربي. فيذهب إلى أنّها أصوات ناقصة[3]، لا تقوم من غير أن تلحق بالصامت، وأنّ الصامت كالمحل أو الإناء للحركة وهي كالعروض فيه، وكأنه يريد أن يشير بذلك إلى أنّ الحركة هي التي تخرج الصامت إلى التحقق الصوتي، ثم جنح إلى أن ذلك هو العلة في تسميتها الحركة[4].

---

[1] انظر: سر صناعة الإعراب (١/٦-٨)، وفي الأصوات اللغوية دراسة في أصوات المد العربية (١/٨٦-٨٨).

[2] انظر: المرجع السابق (١/٨٧-٨٨)، والخصائص (٢/٣١٥).

[3] انظر: سر صناعة الإعراب (١/٨)، أي ناقصة عن حروف المد.

[4] انظر: المرجع السابق (١/٣٢-٣٧).

وبجانب هذا ذكر ابن جني بعضا من صفات أصوات المدّ، فذهب إلى إنها جميعا من المجهورات، وأنها أصوات متوسطة بين الشدة والرخاوة[1]، وهو رأي واضح الخطأ، إذ أنّ ذلك يعني أنها أصوات احتكاكية، لأنّ الشدة والرخاوة صفتان لا تكونان إلا في الأصوات الاحتكاكية، ويبدو أنّ ابن جني قد فهم كلام سيبويه على الأصوات اللغوية من قبل الشدة والرخاوة فهما خطأ، إذ أنّ سيبويه في كلامه ذلك عدّ أصوات الألف والواو والياء أصواتا لينة، ليست من الشديدة أو الرخوة فكأن ابن جني قد فهم من ذلك أن هذه الأصوات تتوسط الشدة والرخاوة فأدخلها مع تلك الأصوات التي أشار إليها سيبويه بأنها أصوات تتوسط الشدة والرخاوة، من نحو العين واللازم والراء والنون في طائفة واحدة[2].

فكرته عن الألف والواو والياء:

(١) ذهب ابن جني إلى أنّ أصوات الألف والواو الياء أصوات (توابع للحركات ومتنشئة عنها، وأنّ الحركات أوائل لها، وأجزاء منها، وأنّ الألف فتحة مشبعة، والياء كسرة مشبعة والواو ضمة مشبعة، يؤكد ذلك عندك أنّ العرب ربما احتاجت في إقامة الوزن إلى الحرف مجتلب من لفظ البيت فتشبع الفتحة فيتولد من بعدها الألف، وتشبع الكسرة فتتولد من بعدها ياء، وتشبع الضمة فتتولد من بعدها واو)[3].

---

(1) انظر: سر صناعة الإعراب (٦٩/١).

(2) انظر: في الأصوات اللغوية دراسة في أصوات المد العربية (٨٧/١).

(3) انظر: سر صناعة الإعراب (٢٦/١).

(٢) إنّ الألف لا تخرج عن المدّ، والواو والياء هما حرفا مد وقد يخرجان من المدّ بأنّ تتحركا أو تكون قبل كل واحدة منهما حركة غير جنسها[١]، وهي ملاحظة ليست جديدة على البحث الصوتي العربي في هذا المجال، إذ أنّ الخليل وسيبويه قد أشارا إلى هذا الأمر صراحة، على نحو ما رأينا من قبل، غير أنّ ابن جني يشير إضافة إلى ذلك إلى أنّ هذا الخروج عن المدّ يختلف درجة من سياق إلى آخر فيذهب إلى:

(أ) إذا انفتح ما قبلها وكانتا ساكنتين، فإنهما لا تخرجان من المدّ كل الخروج، بل فيهما بقية منه، ثم يعلل بوقوع المدغم بعدهما في نحو أصيَم ومَخيفة ودويّبَة، وقولهم: هذا ثَوبكر وجَيْبكر يريدون: ثوب بكر وجيب بكر ذلك أنّ هذا الضرب من التأليف الصّوتي لا يأتي في العربيّة إلاّ إذا كان قبل المدغم صوت مدّ طويل من نحو ما نجد في شابّة ودابّة، فاستساغة العربية لهذا الضرب ههنا ما كانت إلاّ لأنّ الواو والياء الساكنتين لم تخرجا من المدّ ثم أكد ذلك بأننا لا نجمع في القوافي بين عَوْم وصَوْم وكَرْم وجَرْم مما يدلل على أنّ سكون هذين الصوتين إذا سبقا بالفتح لم يخرجهما من المدّ[٢].

لقد حاول ابن جني تفسير احتفاظ الياء أو الواو الساكنتين المسبوقتين بالفتح تفسيرا يشعرنا بأنه قد فطن بعض الشيء إلى أنّ ثمة تداخلا بين صوت الفتحة القصيرة وصوت الواو أو الياء في هذا السياق،

---

[١] انظر: المنصف (٢٢٤/١).

[٢] انظر: المرجع السابق (١١٦/٢)، وفي الأصوات اللغوية دراسة في أصوات المد العربية (٨٩/١).

إذ ذهب إلى أنّ ذلك كان لأنّ (الفتحة وإن كانت مخالفة الجنس للياء أو الواو فإن فيها سرا له، ومن أجله جاز أن تمتد الياء والواو وبعدها في نحو ما رأينا، وذلك أنّ أصل المدّ وأقواه وأعلاه وأنصه وأنداه إنما هو للألف وإنما الياء والواو محمولان عليها وملحقان في الحكم بها، والفتحة بعض الألف فكأنها إذا قدمت قبلها في نحو بَيْت وسَوْط إنما قدمت الألف، إذ كانت الفتحة بعضها فإذا جاءتا بعد الفتحة جاءتا في موضع قد سبقتهما إليه الفتحة التي هي ألف صغيرة فكان ذلك سببا للأنس بالمد لاسيما وهما بعد الفتحة لسكونهما أختا الألف، وقريبتا الشبه بها فصار ثوب وشيخ نحوا من شاخ وثاب ساغ وقوع المد بعدهما فأعرف ذلك[1].

لكنه لم يفطن إلى أنّ هذا الأمر قد أدى بصوت الفتحة مع الياء أو الواو الساكنتين إلى تكوين ما انطلق عليه مصطلح صوت المدّ المركب مما يجعل هذا الصوت المركب الجديد قريبا في صفاته وسلوكه من صوت المدّ الطويل[2].

لقد لاحظ ابن جني أنّ الواو والياء لا تخرجان من المدّ كل الخروج أيضا في الإدغام، يقول: (إنّ إدغام الواو والياء لا يخرجهما من المدّ كل الإخراج كما تخرجهما الحركة، ويدلك على أنّ الحركة في الياء والواو أشد إخراجا لهما من إدغامهما إذا وقعتا مدغمتين في حرف الروي لم

---

[1] انظر: الخصائص (١٢٧/٣ – ١٢٨)، وفي الأصوات اللغوية دراسة في أصوات المد العربية (٨٩/١).

[2] انظر: المرجع السابق (٨٩/١).

يجز موضع كل واحدة منهما غيرهما نحو ولي وعلوم مع عدو كما أنّ الحركة لما كانت تخرجهما من المدّ أصلا جاز مع كل واحد منهما إذا وقعت قبل الروي غيرهما من سائر الحروف الصحاح، ألا ترى أنه يجوز مع الغير الخبر والسمر، ويجوز مع الطول العمل والسمل)[1].

لقد فطن ابن جني في هذا النص إلى أنّ الواو المدغمة أو الياء المدغمة لا يمكن أن تنطابق أي منهما مع التحليل إلى ساكن ثم متحرك، وعلل ذلك بأنّهما في هذه الحالة ما تزالان تحتفظان بشيء من المدّ.

(٣) أن الألف والواو والياء أصوات على غاية من الأهمية، (ولو لم يعلم تمكن هذه الحروف في الضعف إلا بتسميتهم إياها حروف العلة لكان كافيا وذلك أنها في أقوى أحوالها ضعيفة، ألا ترى أن هذين الحرفين -يعني الواو والياء- إذا قويا بالحركة فإنك حينئذ مع ذلك مؤنس فيهما ضعفا، وذلك أنّ تحملهما للحركة أشق منه في غيرهما، ولو لم يكونا كذلك إلا لأن مبنى أمرهما على خلاف القوة، يؤكد ذلك عندك أن أذهب الثلاث في الضعف والاعتلال الألف) ثم يورد بعضا من أحوالهنّ فيرى أنهنّ لضعفهنّ (إذا وقف عليهنّ ضعفنّ وتضاءلنّ ولم يف مدهنّ، وإذا وقعن بين الحرفين تمكّن واعتراض الصّدى معهنّ، ولذلك قال أبو الحسن: أنّ الألف إذا وقعت بين الحرفين كان لها صدى، ويدلّ على ذلك أنّ العرب لمّا أرادت مطلهنّ للندبة وإطالة الصّوت بهنّ في الوقف وعلمت أنّ السكون عليهنّ ينتقصن، ولا يفي بهنّ لتبعتهنّ الهاء

---

[1] انظر: المصنف (٣٢٨/١).

في الوقف توفية لهنّ وتطاولا إلى إطالتهنّ وذلك قولك وازيداه، واجعفراه)[1].

وهذا يعني أنّ درجة الضعف فيهنّ تختلف من موضع إلى آخر، بل هو يشير في نص آخر إلى ذلك صراحة فيذهب إلى أن هذه الأصوات إذا كن في موضع العين كن أقوى من موضعهن في الفاء – واللام (لأنّها واسطة ومكنوفة بهما فصارا كأنّهما سياج لها، ومبذولان للعوارض دونها، فأمّا حذف الفاء ففي المصادر من باب وعد نحو العدة والزنة والطدة والندة والابة، وأما اللام فنحو اليد والدم والفم والأب والسنة والمائة والفئة وقلما نجد الحذف في العين)، ثم يذهب إلى أن أضعف مواقع الاعتلال هو اللام (لأنها أضعف من العين على ذلك قولهم في تكسير فاعل مما اعتلت لامّه أنّه يأتي على فعله نحو قاض قضاة وغاز غزاة وساع سعاة، فجاء ذلك مخالفا للصحيح الذي يأتي على فعله نحو كافر كفرة وبارّ برزة)[2].

وهذا يعني أنّ ظاهرة الاعتلال أصلا مرتبطة عند ابن جني بفكرة درجة ضعف هذه الأصوات في أثناء التأليف الصوتي وهو كما نرى متابع في ذلك للخليل وسيبويه، لكننا نلاحظ من جانب آخر أنّه قد ذهب إلى أنّ ظاهرة الاعتلال ليست أمرا طارئا في العربيّة، وهو ما يمكن أن نستنتجه من إشارته إلى ما نطلق عليه (أصل) المعتل ليس سوى صيغة مفترضة، يقول في هذا الصدد: هذا الموضع كثير الإيهام لأكثر من

---

[1] انظر: الخصائص (٢/٢٩٠)، (٣/١٢٩).

[2] انظر: المرجع السابق (٢/٤٨٤).

يسمعه، لا حقيقة تحته، وذلك كقولنا الأصل في قام قوم وفي باع بيع وفي طال طول وفي خاف ونام وهاب خوف ونوم وهيب وفي شد شدد وفي استقام استقوم وفي يستعين يستعون وفي يستعد يستعدد، فهذا يوهم أن هذه الألفاظ وما كان نحوها -مما يدعي أن له أصلا يخالف ظاهر لفظه- قد كان مره يقال، حتى أنهم كانوا يقولون في موضع قام زيد قوم زيد وكذلك، نوم جعفر وطول محمد... الأمر كذلك، بل بضده، وذلك أنّه لم يكن قط مع اللفظ به إلاّ على ما تراه وتسمعه. وإنّما معنى قولنا: أنّه كان أصله كذا: أنّه لو جاء مجيء الصحيح ولم يعل لوجب أن يكون مجيئه على ما ذكرنا، فأمّا أن يكون استعمل وقتا من الزمان كذلك ثم انصرف عنه فيما بعد إلى هذا اللفظ فخطأ لا يعتقده أحد من أهل النظر[1].

---

[1] انظر: الخصائص (١/٢٥٦ – ٢٥٧)، في الأصوات اللغوية دراسة في أصوات المد العربية (١/٨٩ – ٩٠).

المبحث السادس: الحركات الفرعية عند ابن جني:

حاول ابن جني أيضا تصنيف أصوات المدّ العربية الفرعيّة، التي عرفها اللسان العربي في لهجاته القديمة، وفي القراءات القرآنية، ويلاحظ المدقق أنّ هذا التصنيف قد تم وفقا لمعيارين اثنين، الأول: معيار التغير في جهاز النطق في أثناء التلفظ والثاني: معيار الكمية[1].

والحق أنّ ابن جني لا يشير إلى المعيار الأول صراحة، لكننا نستطيع أن نستشف ذلك من طبيعة الأصوات التي أوردها في هذا المجال، أما المعيار الثاني فهو صريح في الكلام عليه.

ويمكن إجمال هذه الأصوات التي تحدث بسبب من تغير في هيأة جهاز النطق فيما يأتي: الفتحة المشوبة بالكسرة وألف الإمالة والضمة المشوبة بالكسرة والواو المشوبة بروائح الياء والكسرة المشوبة بالضمة والياء المشوبة بروائح الواو وألف التفخيم ويلاحظ في هذه الأصوات جميعًا. أنّها تحدث لإشمام صوت المد شيئا من روائح صوت مد آخر ثم يذهب إلى أن هذا الإشمام ليس مطردا بين أي صوتي مدّ، فإذا كان من الممكن أن ينحى بالفتحة (نحو الكسرة والضمة، وفي الكسرة أن ينحى بها نحو الضمة، وفي الضمة أن ينحى بها نحو الكسرة.. لم يجز في واحدة من الكسرة ولا الضمة أن ينحى بها نحو الفتحة وعلّل ذلك بأنّ (الفتحة أول الحركات وأدخلها في الحلق، والكسرة بعدها، والضمة بعد

---

[1] انظر: في الأصوات اللغوية دراسة في أصوات المد العربية (١/٩١).

الكسرة، فإذا بدأت بالفتحة وتصعدت تطلب صدر الفم والشفتين اجتازت في مرورها بمخرج الياء والواو فجاز أن تشمها شيئا من الكسرة أو الضمة لتطرفها إياهما، ولو تكلفت أن تشم الكسرة أو الضمة رائحة من الفتحة لاحتجت إلى الرجوع إلى أول الحلق، فكان في ذلك انتقاض عادة الصوت بتراجعه إلى ورائه وتركه التقدم إلى صدر الفم والنفوذ بين الشفتين، فلما كان في إشمام الكسرة أو الضمة رائحة الفتحة هذا الانقلاب والنقص، ترك ذلك فلم يتكلف البتة فإن قيل نراهم نحوا بالضمة نحو الكسرة في مذعور ومنقور... فالجواب أنّ بين الضمة والكسرة من القرب والتناسب ما ليس بينهما وبين الفتحة، فجاز أن يتكلف نحو ذلك بين الضمة والكسرة، وهو مع ذلك مستكره، ألا ترى إلى كثرة قيل وبيع وغيض، وقلة نحو مذعور وابن بور)[1]. أما الأصوات التي تعتمد معيار الكمية فهي: الحركة الضعيفة المختلسة كحركة همزة بين بين، وغيرهما من الحروف التي يراد اختلاس حركاتها تخفيفا ثم حركتي الاشمام والروم.

لقد لاحظ ابن جني في هذا المجال أيضا أنّ أصوات المدّ الطويلة قد تكون أكثر طولا في سياقات بعينها، إذ (قد تجدهن في بعض الأحوال أطول وأتم منهن في بعض، وذلك قولك يخاف وينام ويسير ويطير ويقوم ويسوم فتجد فيهن امتداد واستطالة ما، فإذا أوقعت بعهدهن الهمزة أو الحرف المدغم ازددن طولا وامتدادا وذلك نحو يشاء ويسوء ويطيب بكر

---

[1] انظر: سر صناعة الإعراب (١/٥٨ – ٦١).

ويسير راشد، وتمودّ الثوب، وقد قوص زيد بما عليه، أفلا ترى زيادة المدّ فيهن بوقوع الهمزة والمدغم بعدهن)[1].

ولم يغفل ابن جني عن الإشارة إلى أنّ الحركات العربية ليست ثلاثا فحسب؛ وإنما هناك حركات أخرى فرعية؛ كالتي بين الفتحة والكسرة، والتي بين الفتحة والضمة والتي بين الكسرة والضمة؛ فيقول: (باب في كمية الحركات: أما ما في أيدي الناس في ظاهر الأمر فثلاث. وهي الضمة والكسرة والفتحة، ومحصولها على الحقيقة ست. وذلك أنّ بين كل حركتين حركة[2]. فقد جعل ابن جني الحروف التي سماها القدماء (حروف المدّ أو حروف اللين) حركات لا تختلف عن الحركات القصيرة إلا في الطول أو في كميّة الصوت).

وقد عرّف ابن جني الحركات الفرعية فقال (اعلم أنك كما قد تجد هذه المضارعة وهذا التقارب بين الحروف، فقد تجده أيضا بين الحركات، حتى إنك تجد الفتحة المشوبة بشيء من الكسرة أو الضمة منحوا بها إليهما، وتجد الكسرة أيضا مشوبة بشيء من الضمة، والضمة مشوبة بطرف من الكسرة، ولا تجد الكسرة ولا الضمة مشوبة بشيء من الفتحة)[3].

---

[1] انظر: المرجع السابق (١٩/١).

[2] انظر: الخصائص (١٢٠/٣ – ١٢١).

[3] انظر: سر صناعة الإعراب (٥٨/١ – ٦١).

وقد عرفها البعض بأنّها (فروعٌ من أصوات المدّ الأساسيّة، تنوب عنها في طائفة من المواضع يعينها السياق وهي بهذا أصوات لا تملك استقلالًا فونيميًا، وأنها لم تكن أصواتاً مستقلة بنفسها)[1].

ولكن خالفوا ابن جني في ذلك أنّ الحركات ما زالت ثلاثًا، هي الفتحة والكسرة والضمة، وليست ستًا. كما زعم ابن جني. وهذه الحركات الثلاث خاضعة للتغير في النطق، وهو تغير سياقي لا يؤدي إلى تشكيل حركات مستقلة تتجاوز المواقع والوظائف مع الحركات الأخرى في البناء الصّوتّي للغة[2].

استقر لنا الأمر إذن، فنعود ونؤكد أنّ الحركات في عرف جملة القدامى والمحدثين ثلاث فقط، وهي الفتحة والكسرة والضمة، وأنّ حركات المدّ ثلاثة أيضًا. ولكنها هنا في عملنا هذا سوف نطلق المصطلح (الحركات) على الطائفتين جميعا، لاشتراكهما في صفات نطقية معينة ترشحهما للتصنيف قسيما مستقلا مقابلا للقسيم الآخر المنعوت بالأصوات الصامتة، كالباء والتاء إلخ[3].

وعلى إثر ذلك قسم ابن جني الحركات العربيّة إلى أربعة أقسام وهي:

---

(1) انظر: في الأصوات اللغوية دراسة في أصوات المد العربية (١/١٧٠).

(2) انظر: علم الأصوات (١/٤٥٣).

(3) انظر: المرجع السابق (١/٤٥٦).

المطلب الأول - الفتحة المشوبة بالكسرة:

وهو صوت يأتي بين الفتحة والكسرة (قبل ألف الإمالة)[1] وقد مثل ابن جني لهذا الصوت بقوله: (أما الفتحة المشوبة بالكسرة التي قبلها الإمالة نحو فتحة عين عابد وعارف، وذلك أن الإمالة إنما هي أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة، فتميل الألف التي بعدها نحو الياء لضرب من تجانس الصوت، فكما أن الحركة ليست فتحة محضة، فكذلك الألف التي بعدها ليست ألفا محضة، وهذا هو القياس؛ لأن الألف تابعة للفتحة، فكما أن الفتحة مشوبة، فكذلك الألف اللاحقة لها. وقد أمالوا أيضا هذه الفتحة وإن لم تكن بعدها ألف، فقالوا: مِنْ عَمِرو، ورأيت خَبَطْ رياح، وقرأ بعضهم: (فإنّهم لا يُكذِّبونِك) وقرئ أيضا: (وإنّا إليه راجعون) و(رأى القمر)[2].

أجاز ابن جني أن تنحى الفتحة نحو الكسرة معللا ذلك (لأنّ الفتحة أول الحركات وأدخلها في الحلق، والكسرة بعدها، والضمة بعد الكسرة، فإذا بدأت بالفتحة، وتصعدت تطلب صدر الفم والشفتين، واجتازت في مرورها بمخرج الياء والواو فجاز أن تشمها شيئا من الكسرة أو الضمة لتطرقها إياهما، ولو تكلفت أن تشم الكسرة أو الضمة رائحة من الفتحة لاحتجت إلى الرجوع إلى أول الحلق، فكان في ذلك انتقاص عادة الصّوت بتراجعه إلى ورائه، وتركه التقدم إلى صدر الفم، والنفوذ بين الشفتين،

---

[1] انظر: علم الأصوات (١/٤٥١).

[2] انظر: سر صناعة الإعراب (١/٥١ – ٥٦).

فلما كان إشمام الكسرة أو الضمة رائحة الفتحة هذا الانقلاب والنقص ترك ذلك فلم يتكلف البتة)[1].

ونلاحظ أنّ ابن جني اعتمد على ما نسبه سيبويه في أنّ هذه الصور النطقية السياقية حركات مستقلة حيث نجد اعتداد سيبويه بألف الإمالة وألف التفخيم غير دقيق، وفيه تجاوز في النظر وذلك لأنّ سيبويه لم يصنف ألف الإمالة وألف التفخيم حركتين (طويلتين) مستقلتين، وإنما أشار إليهما ونبه عليهما بوصفهما صورتين في النطق لألف المدّ في مواقع معينة لكل حالة. ومعنى هذا أنّ هاتين الصورتين مجرد تغيرات سياقية سلبا أو إيجابا بحسب الموقع في البناء الصوتي للكلمة. ودليل أنّ هذه التغيرات تغيرات سياقية أنّ سيبويه (وغيره) قد حدد بكل دقة ووضوح المواقع التي تحدث فيها الإمالة وتلك التي لا تجوز فيها الإمالة، أي حالة التفخيم. فعل ذلك بتحديد الأصوات المجاورة أو السابقة على ألف المدّ التي يحدث فيها هذه الظاهرة أو تلك. وخلاصة مفهومنا لعمل سيبويه وغيره في هذا الشأن أنّ ألف المدّ (الفتحة الطويلة) ما زالت حركة واحدة، ولكن قد تخضع للتغير في النطق وفقا للسياق. وبهذا يبطل استناد ابن جني إلى رأي سيبويه فيما يصيب ألف المدّ من تغيرات، وأخذ هذا الرأي دليلا على زعمه بأنّ التغيرات السياقية التي تصيب الفتحة والكسرة والضمة تعدّ حركات مستقلة[2].

---

[1] انظر: المرجع السابق (١/٥١ – ٥٦).

[2] انظر: علم الأصوات (١/٤٥٤ – ٤٥٥).

فقد أكّد كمال بشر أنّ القدماء قد وقعوا في الوهم بالنسبة لظاهرة الإمالة هذه، إمالة ألف المدّ (الفتحة الطويلة) نحو الياء وإمالة الفتحة القصيرة نحو الكسرة أحيانًا.

وقد ظنوا أنّ الإمالة حركة مستقلة، شأنها في ذلك شأن الفتحة والكسرة والضمة. وليس الأمر كذلك بحال، إذ إنها مجرد صورة نطقية من صور نطق ألف المدّ والفتحة، يحددها السياق الصّوتي الذي تقع فيه، وليست لها أي قيمة دلالية، أي ليست وحدة صوتية أو فونيمية مستقلة تفرق بين معاني الكلمات. وقد حدد العارفون من علماء العربيّة المواقع التي تجوز فيها الإمالة وتلك التي تمنعها، وذلك بالتركيز على مواقع عدم الجواز. نصوا على أنّ الإمالة لا تجوز إذا سبقت الألف (أو الفتحة) بصوت من أصوات الاستعلاء السبعة، وهي الصاد والضاد والطاء والظاء والقاف والغين والخاء. وعللوا ذلك تعليلا صحيحا مقبولا، حيث قرروا أن اللسان عند النطق بهذه السبعة يعلو نحو الحنك محدثا التفخيم (أو نوعا منه)، ومن ثم تبقى الألف (والفتحة) على حالها دون إمالة، طلبا للمجانسة. والإمالة -كما هو معروف- ضرب من الترقيق.

وأضاف بعضهم صوت الراء إلى هذه السبعة، حيث قرروا أنّ الإمالة لا تجوز مع هذا الصوت، إذ المعروف أنّ الراء متلوة بفتحة (طويلة – ألف المدّ أو قصيرة) تكون مفخمة، والإمالة (وهي نوع من الترقيق) تفقدها هذه الخاصة، أي خاصة التفخيم.

ومع ذلك، فالرأي -كما هو رأي الكثيرين- أنّ الإمالة لهجة خاصة، ومنه ثم ينبغي النظر إليها في إطار النظر في النظام الصّوتي الخاص بهذه اللهجة، ومن الخطأ العلمي حسبانها عنصرا من عناصر حركات

اللغة العربية بمعناها العام، وإلاّ وقعنا في الخلط بين مستويات الكلام، وهو منهج غير مقبول في الدرس اللغوي الحديث[1].

وقد أكّد إبراهيم أنيس أنّ القدماء قد ضلوا الطريق السوي حين ظنوا أنّ هناك حركات قصيرة قبل حروف المدّ، فقالوا مثلا إنّ هناك فتحة على التاء في (كتاب)، وكسرة تحت الراء في (كريم) وضمة فوق القاف في (يقول)!! والحقيقة أنّ هذه الحركات القصيرة لا وجود لها في تلك المواضع، فالتاء في (كتاب) محركة بألف المدّ وحدها، والراء في (كريم) محركة بياء المدّ وحدها، والقاف في (يقول) محركة بواو المدّ وحدها.

ويظهر أنّ الكتابة العربية في صورتها المألوفة من وضع فتحة على التاء في (كتاب) وكسرة تحت الراء في (كريم) وضمة فوق القاف في (يقول) قد جعلت القدماء وجود حركات قصيرة في مثل هذه المواضع. لذلك توهم ابن جني أنّ هناك فتحة ممالة نحو الضمة قبل ألف التفخيم في كلمة الصّلاة، وعدها نوعًا فرعيًا من أنواع الفتحة وكان واجب ابن جني أن يقصّر الأنواع الفرعية لأصوات اللين على ما يأتي[2]:

(١) تلك الفتحة المشوبة بالكسرة وهي التي في إمالة ما قبل تاء التأنيث كما في قراءة الكسائي لكلمة مثل "رحمة" حين الوقوف عليها.

---

[1] انظر: علم الأصوات (١/٤٥٥).

[2] انظر: الأصوات اللغوية (١/٤٠ – ٤١).

(٢) ألف المدّ حين تمال تصبح مشوبة بالكسرة كما في قراءة "ربـــا" بالإمالة. ولا فرق بين هذا النوع والنوع الأول في الكمية.

(٣) ما يسمى بألف التفخيم، وهي ألف مدّ ممالة نحو الضم كما في قراءة بعض القراء لكلمة (الصّلاة).

(٤) ياء المدّ الممالة نحو الضم، وذلك ما سماه النحاة بالإشمام حين ينطق بعض العرب بالفعل المبني للمجهول في مثل بيع وقيل[١].

يكن الأمر فقد أصاب ابن جني في نقطة مهمة لم يدركها الكثيرون من قبله ومن بعده. وهي الحركات تخضع للتغيير في نطقها من حال إلى حال وفقا للسياق الصوتي الذي تقع فيه. ولكنّا مع ذلك لسنا معه في احتسابه صور هذا التغير حركات مستقلة. إنّها صور أو أمثلة أو للحركات الأصلية (الفتح والكسر والضم) بدت على هذا النحو كظواهر تطريزية وفقا للسياق، وليست وحدات أو فونيمات مستقلة، لها قيم دلالية[٢].

---

[١] انظر: الأصوات اللغوية (١/٤٠ – ٤١).

[٢] انظر: علم الأصوات (١/٤٥٣).

المطلب الثاني – الفتحة المشوبة بالضمة:

وهو صوت يأتي بين الفتحة والضمة (قبل ألف التفخيم)[1] وقد مثل ابن جني لهذا الصّوت بقوله: (ولمّا الفتحة المُمالة نحو الضمة فالتي تكون قبل ألف التفخيم، وذلك نحو: الصّلاة، والزّكاة، ودَعًا، وغَزَا، وقَام، وصَاغ. وكما أنّ الحركة أيضا هنا قبل الألف ليست فتحة محضة، بل هي مشوبة بشيء من الضمة. فكذلك الألف التي بعدها ليست ألفا محضة لأنها تابعة لحركة هذه صفتها، فجرى عليها حكمها)[2].

أجاز ابن جني أن تنحى الفتحة نحو الضمة معللا ذلك (لأن الفتحة أول الحركات وأدخلها في الحلق، والكسرة بعدها، والضمة بعد الكسرة، فإذا بدأت بالفتحة، وتصعدت تطلب صدر الفم والشفتين، واجتازت في مرورها بمخرج الياء والواو فجاز أن تشمها شيئًا من الكسرة أو الضمة لتطرقها إياهما، ولو تكلفت أن تشم الكسرة أو الضمة رائحة من الفتحة لاحتجت إلى الرجوع إلى أول الحلق، فكان في ذلك انتقاض عادة الصّوت بتراجعه إلى ورائه، وتركه التقدم إلى صدر الفم، والنفوذ بين الشفتين، فلما كان إشمام الكسرة أو الضمة رائحة الفتحة هذا الانقلابُ والنقصُ ترك ذلك فلم يتكلّف البتة)[3].

---

[1] انظر: علم الأصوات (١/٤٥١).

[2] انظر: سر صناعة الإعراب (١/٥١ – ٥٦).

[3] انظر: المرجع السابق (١/٥٣).

وقد نوه كمال بشر أنّ النظر الدقيق في النص السابق يقودنا إلى القول بأنّ ابن جني أصاب في شيء، ولكنه وقع في تجاوز وخلط كبيرين في أشياء. أصاب هذا الفيلسوف اللغوي في إدراكه حقيقة مقررة، وهي اختلاف نطق الحركات في عمومها باختلاف السياق. وهذا واضع في حال الفتح، فالحركة مرققة عند الإمالة، ولكنها مفخمة عند عدم جواز الإمالة[1].

وهناك خلط آخر ظهر في بعض الأمثلة التي ذكرها هذا العالم للتدليل على مقولاته. التمثيل بالكلمة قام للتدليل على تفخيم (نوع التفخيم) صحيح، ولكنّ المثال المصاحب لها وهو (عاد) فيه تجاوز كبير، إذ ليست العين (المهملة) من الأصوات التي تكسب الحركات أي نوع من التفخيم. ويؤكد ذلك تمثيل ابن جني نفسه بكلمة (عالم) (بالعين المهملة) للتدليل على الإمالة أي عدم التفخيم. وفي ظننا أن الكلمة المناسبة هنا هي (غام) (بالغين المعجمة) إذ إن الغين أخت القاف في إكساب الحركات (غير الكسر) نوعا من التفخيم. فلعل تحريفا أصاب الكلمة من صنع الناقلين أو المحققين[2].

وقال إبراهيم أنيس أنّ ابن جني توهم في سرّ صناعة الإعراب أنّ هناك فتحةً مُمالة نحو الضمة قبل ألف التفخيم في كلمة (الصّلاة) وعدها نوعا فرعيًا من أنواع الفتحة.

---

[1] انظر: علم الأصوات (٤٥٣/١).

[2] انظر: المرجع السابق (٤٥٢/١).

وقال أنّ من واجب ابن جني أن يقصر الأنواع الفرعية لأصوات اللين، ما يسمى بألف التفخيم، وهي ألف مدّ مُمالة نحو الضم كما في قراءة بعض القراء لكلمة (الصّلاة)[1].

[1] انظر: الأصوات اللغوية (١/٤٠ – ٤١).

المطلب الثالث – الكسرة المشوبة بالضمة:

أشار اللغويون إلى أنّ طائفة من العرب كانت تشم الكسرة شيئا من الضمة وتشم الياء رائحة الواو، في الأمثلة التي من نحو سيق وقيل وبيع وغيض، ومعنى هذا أننا أمام صوت مدّ مختلط يترجح نطقه بين الكسرة والضمة، أو بين ياء المدّ وواو المدّ، ويبدو من مجمل كلام ابن جني أنّ نطق الكسرة في هذا الصوت أوضح من نطق الضم فيه وأعلى درجة بدليل ما أورده بعد ذلك من أنه يوجد صوت آخر هو ضمة مشوبة بروائح الكسرة[1].

ولعلّ هذا الوضوح في نطق الكسرة متأت من أنّ اللسان كان قد أخذ وضع النطق بالكسرة، إلا أنّ الشفتين استدارتا وكأنهما تريدان النطق بالضمة فنتج من جراء ذلك هذا الصّوت، وهو على أيّة حال صوت معروف في لغات شتى من نحو اللغة الفرنسية واللغة الألمانية ويبدو أنّ هذا الصوت كان لغة الكثير من أهل نجد، فقد ذكر أبو حيان في البحر المحيط (أنّ الفعل الثلاثي الذي انقلبت عين فعله عين ألفا في الماضي، إذا بني للمفعول كسر أوله وسكنت عينه ياء في لغة قريش ومن جاورهم من بني كنانة، وضمّ أوله عند كثير من قيس وعقيل ومن

---

(1) انظر: في الأصوات اللغوية دراسة في أصوات المدّ العربية (١/١٧٠)، وسرّ صناعة الإعراب (١/٥٢).

جاورهم وعامة بني أسد... وفي ذلك لغة ثالثة وهي إخلاص ضم فاء الكلمة وسكون عينه واوا... وهي لغة هذيل وبني الدبير وفقعس)[1].

وفي هذا الموطن فقد مثل ابن جني لهذا الصوت بقوله (وأمّا الكسرة المشوبة بالضمة فنحو: قُيل، وبُيع، وغُيض، وسُيق. وكما أنّ الحركة قبل هذه الياء المشوبة بالضمة، فالياء بعدها مشوبة بروائح الواو، على ما تقدم في الألف)[2].

والنظر الدقيق في هذا النص يقودنا إلى القول بأنّ ابن جني أصاب في شيء، ولكنه وقع في تجاوز وخلط كبيرين في أشياء. أصاب هذا الفيلسوف اللغوي في إدراكه حقيقة مقررة، وهي اختلاف نطق الحركات في عمومها باختلاف السياق. وهذا واضح في حالة الكسر المشم ضما فيمكن تفسيرها على الوجه التالي: الأول أنّ الكسر المشوب بالضمة في نحو قيل ليس كسرا خالصا، أي ليس كسرا أماميا ضيقا، وإنما هو كسر نصف ضيق يميل إلى الخلف قليلا، والضم الخلفي كما هو معروف. فكأنّ الكسر نحا نحو إطار الضم في هذا السياق لوجود صوت القاف المعروف بالتفخيم أحيانا، والتفخيم يحدث عادة عن الجزء الخلفي من اللسان[3].

ونلاحظ هذا الخلط أيضا في تمثيله بكلمة (سير) (بالسين) للتدليل على الحركة بين الكسر والضم؛ إذ ليس ذلك بمستساغ بحال في نطق العربية بلهجاتها، فلعل الكلمة هي "صير" بالصاد، إذ الصاد وأخواتها

---

[1] انظر: المرجع السابق (١/١٧٠).

[2] انظر: سر صناعة الإعراب (١/٥٢).

[3] انظر: علم الأصوات (١/٤٥١).

المطبقات وكذلك القاف وأختاها الغين والخاء هي الأصوات التي يمكن أن تحدث هذا التغيير في الحركة التالية لها[1].

[1] انظر: المرجع السابق (٤٥٢/١).

المطلب الرابع – الضمة المشوبة بالكسرة:

وقد مثل ابن جني لهذا الصوت بقولهم في الإمالة "وأمّا الضمة بالمشوبة بالكسرة فنحو قولك في الإمالة: مررت بمذعُور، وهذا ابن بُور، نَحوتَ بضمة العين والباء نحو الكسرة/ الراء، فأشممتها شيئا من الكسرة. وكما أنّ هذه الحركة قبل هذه الواو ليست ضمة محضة، ولا كسرة مرسلة، فكذلك الواو أيضا بعدها هي مشوبة بروائح الياء، وهذا مذهب سيبويه، وهو الصواب؛ لأنّ هذه الحروف تتبع الحركات قبلها، فكما أن الحركة مشوبة غير مخلصة، فالحرف اللاحق بها أيضا في حكمه. وأمّا أبو الحسن فكان يقول: مررت بمذعور، وهذا ابن بور، فيشم الضمة قبل الواو رائحة الكسرة، ويخلص الواو واوا محضة البتة. وهذا تكلف فيه شدة في النطق، وهو مع ذلك ضعيف في القياس. فهذا ونحوه مما لابد في أدائه وتصحيحه للسمع مع مشافهة توضحه، وتكشف عن خاص سره"[1].

أي أنّ العرب نحت بضمة العين في مذعور وضمة الباء في بور نحو الكسرة إذا شموها شيئًا من تلك الكسرة وهو بهذا يختلف عن الصوت السابق بأنّه إنما يكون اللسان قد اتخذ فيه وضع النطق بالضمة في حين كانت الشفتان قد اتخذتا وضع النطق بالكسرة، فنتج جراء ذلك هذا الصوت المختلط.

---

[1] انظر: سر صناعة الإعراب (٥٣/١).

ويلاحظ من سياق الأمثلة التي وردت سابقا أنّ الضمة التي تخضع لمثل هذا التأثير من الكسرة تأتي قبل صوت الراء في الكلمة، ولعل ذلك يعني أن هذا التحول من الضمة الخالصة إلى الضمة المشوبة بالكسرة، إنما كان بسبب من صوت الراء المكسور، إذ كثيرا ما نجد أنّ صوت الراء المكسور يجنح بالكلمات التي يرد فيها إلى الكسر أو الإمالة، وأنّ سيبويه قد علّل ذلك بأنّ الراء المكسورة تبدو و(كأنّها حرفان مكسوران) وفسر ابن يعيش ذلك (بأنّ الراء حرف تكرير فإذا نطقت به خرج كأنه متضاعف.. فإذا كان مفتوحا أو مضموما منعت إمالة الحرف نحو قولك هذا راشد فلم يميلوا وأجروه مجرى المستعلى)، ولأنهم نطقوا كأنّهم تكلموا براءين مفتوحين فقويت على نصب الألف وصارت بمنزلة القاف فهي في منع الإمالة أقوى من غيرها من الحروف، ودون المستعلية في ذلك، فإذا كانت مكسورة فهي تقوى الإمالة أكثر من قوة غيرهما من الحروف المكسورة لأن الكسرة تتضاعف فهي من أسباب الإمالة)، فنجد من أجل ذلك أنّ العرب تميل للراء المكسورة ما لا يُمال على غيرهما نحو طارد وغارم.

إنّ هذا الكلام يعني أنّ هذا الصوت متعلق بسياق محدد تحديدا دقيقا مما يدلل على قلة استعماله، وعلى أية حال فإنه ليس بميسورنا أن نحدد اللهجات التي كانت تجنح إلى استعماله في كلامها، بيد أن ما تقدم من كلام يوضح أنه أقرب إلى استعمال اللجهات المميلة، وهي لهجات نجد[1].

---

[1] انظر: في الأصوات اللغوية دراسة في أصوات المد العربية (١/١٧١).

وقد أورد ابن جني تعليلا لإجازته أن تنحى الضمة نحو الكسرة فقال: (وإن شئت فقل إنّ الضمة وإنّ نحي بها نحو الكسرة فلقربها منها وبعدت الفتحة منها فلم يجز فيها ما جاز في الكسرة القريبة. فلما بطل ذلك في الضمة حملت الكسرة عليها لأنها أختها وداخلة في أكثر أحكامها. ويشهد لهذا القول أنهم أدغموا النون في الميم لاشتراكهما في الغنة والهوي في الفم، ثم إنهم حملوا الواو في هذا على الميم، فأدغموا فيها النون لأن الواو ضارعت الميم بأنهما من الشفة. ثم إنهم أيضا حملوا الياء على الواو في هذا لأنها ضارعتها في المد، وإن لم تكن معها من الشفة، فأجازوا إدغام النون في الياء. فالميم نحو قولهم: من معك؟ والواو نحو قولهم: من وعدت؟ والياء نحو قوله عز اسمه (ومن الناس من يقول) فكما جاز حمل الواو على الميم، ثم حمل الياء على الواو فيما ذكرنا، كذلك أيضا جاز أن تحمل الكسرة على الضمة في امتناع إشمامها شيئًا من الفتحة. ولهذا نظائر كثيرة في كلامهم، أتركها خوف الإطالة)[1].

وقد علق كمال بشر على النص السابق (أمّا الضم المشوب بالكسر في نحو مذعور، فليس ضما خالصا، أي ليس ضما خلفيا ضيقا، بل هو ضم نصف ضيق يميل إلى الأمام قليلا، والكسر أمامي، فكأنّ الضم نحا إطار الكسر في هذا المثال ونحوه.

وقد أكّد أيضا أنّ هناك خلطًا آخر عند ابن جني ظهر في تمثيله كلمة "المنقُر" (بضم القاف وكسر الراء) للضمة المشمة كسرا وهذا غير مستساغ لدينا أيضا. هذا بالإضافة إلى أنّ هذا المثال بالذات خارج عن

---

[1] انظر: سر صناعة الإعراب (٥٤/١)، وفقه اللغة (٣٨/١).

طبيعة كل ما ذكر من أمثلة لهذه الحركات المحسوبة جديدة عنده. فهذا المثال جاء بالضمة (الحركة القصيرة) وجميع الأمثلة الباقية كلها بحروف المدّ (الحركات الطويلة)[1].

ولم يجز ابن جني أن تنحى الكسرة والضمة نحو الفتحة لأنه قليل ومستكره فقال (أن بين الضمة والكسرة من القرب والتناسب ما ليس بينهما وبين الفتحة، فجاز أن يتكلف نحو ذلك بين الضمة والكسرة لما بينهما من التجانس فيما، وهو مع ذلك قليل مستكره؛ ألا ترى إلى كثرة قُيل وبُيع وغُيض، وقلة نحو مَذعُور وابن بُور. ولعلّ أبا الحسن أيضا إلى هذا نظر في امتناعه من إعلال الواو في مذعور، وتركها واوا محضة؛ لأنه له أن يقول إن الحركة التي قبل الواو لم تتمكن في الإعلال والإشمام تمكن الفتحة في الإشمام نحو عالم وقام، ولا تُمكن الكسرة في قيل وبيع، فلما كان الإشمام في مذعور ونحوه عنده والعمل خلسا خفيا، لم يقوَ على إعلال الواو بعده، كما أعلت الألف في نحو عالم وقام، والكسرة في نحو قيل وغيض، فلذلك لم تعتل عنده الواو في مذعور وابن بور، وأخلصها واوا محضة[2].

---

(1) انظر: علم الأصوات (١/٤٥٢ – ٤٥٣).

(2) انظر: سر صناعة الإعراب (١/٥١ – ٥٦).

الخاتمة:

حاولت هذه الدراسة إلقاء الضوء على الحركات في اللغة العربية وأثرها في بناء الكلمة، وقد خلصت الدراسة إلى الآراء التالية:

حيث أنّ الحركات في اللغة العربية لم تجد الاهتمام الذي أخذته الصوامت فكانت نتيجة ذلك بقاء بعض الظواهر اللغوية دون تعليل يكشف أسرارها، ومما يظهر تأخر الاهتمام بالحركات، ومحدودية ذلك الاهتمام أن مصطلح الحركات لم يتبلور بالمفهوم الصّوتي إلاّ في عهد ابن جني، وأودّ أن أشير إلى أظهر الأمور التي أملت فيها هذه الدراسة وهي:

(١) لم تنل الحركات اهتمامًا واضحًا كالصوامت (الحروف)، ولم يظهر مصطلح الحركات بوصفه مصطلحًا صوتيا يدرس دراسة مفردة، فقد جاء ضمن الحديث عن الجوانب النحوية، فوصفها الخليل بأنّها هوائية لا حيز لها ووصفها بأنّها زوائد أي ليست من أحرف الكلمة الأساسية، أمّا سيبويه فأشار إلى أنّها حروف خفية اتسع مخرجها، وبقي المفهوم الصوتي غير محدد البداية إلاّ عندما جاء ابن جني فوصفها بالأصّوات الناقصة لأنها تقلق الحرف الذي تقترن فيه باجتذابه إلى الحرف الذي هي بعضه، وهذا يعني أنّ مخرج الصّامت يتكيف مع مخرج الصّائت، واتخاذه وضعًا لم يكن ليتخذه لولاه وهو وضع يتناسب مع المصوت التالي له، ووصفها أيضا بأنّها أبعاض حروف اللين الفتحة بعض الألف، والكسرة بعض الياء، والضمة بعض الواو، فالعلماء يسموهنّ حروفا كوامل سواكن على طولهنّ أو امتدادهنّ، لذلك كان القياس يقتضي أن يُسمينّ حروفا إذا جاء الصوت ببعضهن، إذا فتسمية الحركات أبعاض حروف المدّ حروفا صغارًا ليس بعيدًا في القياس.

(٢) اختلف المحدثون مع القدماء في وصف تلك الحركات، فمنهم من سمّاها بالحركات والصوائت وأصوات المدّ وحروف اللين لكن اتفقوا مع القدماء بأنها (أصوات مجهورة)، وبعد ذلك عرفوا الحركة بأنّها صوت هوائي ليس له مخرج محدد كغيره من الأصوات، وإنّ هذا الصوت يأتي على نوعين حسب كميته: صوت قصير وهو ما عرف بالحركة، وصوت طويل وهو ما عرف بحرف المدّ. وقام المحدثون بدراسة الأصوات فجعلوا الحركات وحروف المدّ تحت قسم واحد وهو (الصوائت) وجعلوها على نوعين صوائت قصيرة، صوائت طويلة، فالقصيرة ما أطلق عليه القدامى (الحركات) والطويلة حروف مدّ، وبهذا التقسيم قالوا:(أنّ حروف المدّ واللين ليست مسبوقة بحركة من جنسها كما يقول القدامى

ردًا عليهم المحدثون (أنّهم ضلوا الطريق السوي حين ظنوا أنّ هناك حركات قصيرة قبل حروف المدّ).

(٣) اختلف القدماء مع ابن جني وسيبويه بأنّ الحركة تكون بعد الحرف، حيث قال غيرهما معه وذهب غيرهما إلى أنها تحدث قبله، فإذا كان الأمر على ما قرره ابن جني من أنّ الحركات أبعاض لحروف المدّ فإنه لابد من ترجيح القول السائد بأن الحركة تكون بعد الحرف، لأنه لو أنّ الحركة كانت قبل الحرف أو معه لما جاز الإدغام في الكلام أصلا، لأنّ حركة الثاني كانت تكون قبله حاجزة بين المثلين وهذا هو القياس.

(٤) ومما يدل أيضا على أنّ الحركة بعد الحرف أنك إذا أشبعتها تممتها حرف مدّ بعد الحرف فإذا أشبعت الفتحة في ضاد ضرب قلت ضارب، وإذا أشبعت الكسرة في ضراب قلت ضيراب وإذا أشبعت

الضمة في ضرب قلت ضروب، فكما جاءت الألف والياء والواو بعد الضاد ولم يحكم أحد بأنّها معها، فكذلك يحكم للفتحة والكسرة والضمة لأنّ هذه الحركات أبعاض حروف المدّ كما تقام وحكم البعض تابع لحكم في هذا.

(٥) يعد موضوع الحركات الفرعيّة عند ابن جني من خلال كتابه سرّ صناعة الإعراب موضوعًا شابه بعض اللبس الخلط في تسمية القدماء والمحدثين، فتجدهم تارة وصفوها بأنّها حروف لين، وتارة حروف مدّ، وتارة حروف مدّ فرعية أو حركات قصيرة، فتعددت التسميات والموضوع واحد.

وجعل ابن جني هذه الحروف التي سماها القدماء (حروف اللين أو حروف المدّ) حركات لا تختلف عن الحركات القصيرة إلاّ في الطول أو في كمية الصّوت كما يقول المحدثون.

لم يغفل ابن جني عن الإشارة إلى أنّ الحركات العربية ليست ثلاثا فحسب، وإنّما هناك حركات أخرى فرعية؛ كالتي بين الفتحة والكسرة، والتي بين الفتحة والضمة، والتي بين الكسرة والضمة؛ فيقول: (باب في كمية الحركات: أمّا ما في أيدي الناس في ظاهر الأمر فثلاث. وهي الضمة والكسرة والفتحة). ومحصولها على الحقيقة ست. وذلك أن بين كل حركتين حركة، فالتي بين الفتحة والكسرة هي الفتحة مثل الألف الممالة، نحو فتحة عين عالم، فهذه حركة بين الفتحة والكسرة.

(٦) وافقت هذه الدراسة ابن جني عدم إجازته أن تنحى الكسرة والضمة بهما نحو الفتحة؛ وذلك لأنّ بين الضمة والكسرة من القرب والتناسب ما ليس بينهما وبين الفتحة، فجاز أن يتكلف نحو ذلك

بين الضمة والكسرة لما بينهما من التجانس، وهو مع ذلك قليل مستكره؛ ألا ترى إلى كثرة قيل وبيع وغيض، وقلت نحو مذعور وابن بور، فامتنع العلماء من إعلال الواو في مذعور، وتركها واوا محصنة؛ لأن له أن يقول إنّ الحركة التي قبل الواو تتمكن في الإعلال والإشمام تمكن الفتحة في الإشمام نحو عالم وقام، ولا تمكن الكسرة قيل وبيع، فلما كان الإشمام في مذعور ونحوه عنده والعمل خلسا خفيا، لم يقو على إعلال الواو بعده، كما أعلت الألف في نحو عالم وقام، والكسرة في نحو قيل وغيض، فلذلك لم تعتل الواو في مذعور وابن بور، وأخلصها واوا محصنة.

(٧) تنحى الضمة نحو الكسرة لقربها منها، وبَعُدت الفتحة منها فلم يجز فيها ما جاز في الكسرة القريبة. فلما بطل ذلك في الضمة حملت الكسرة عليها لأنها أختها وداخلة في أكثر أحكامها. ويشهد لهذا القول أنهم أدغموا النون في الميم لاشتراكهما في الغنة والهَويّ في الفم، ثم أنّهم حملوا الواو في هذا على الميم، فأدغموا فيها النون لأن الواو ضارعت الميم بأنهما من الشفة. ثم إنهم أيضا حملوا الياء على الواو في هذا لأنها ضارعتها في المد، وإن لم تكن معها من الشفة، فأجازوا إدغام النون في الياء.

فالميم نحو قولهم: مَنِ مَعَك؟ والواو نحو قولهم: مَن وعَّدت؟ والياء نحو قوله عز اسمه (ومن الناس مَن يَّقول) فكما جاز حمل الواو على الميم، ثم حمل الياء على الواو. كذلك أيضا أجاز أن تحمل الكسرة على الضمة في امتناع إشمامها شيئا من الفتحة.

(٨) قد بينت هذه الدراسة أن القدماء قد ضلوا الطريق السوي حين ظنوا أن هناك حركات قصيرة قبل حروف المد، فقالوا مثلا

إن هناك فتحة على التاء في (كتّاب)، وكسرة تحت الراء في (كرِيم) وضمة فوق القاف في (يقُول)!! والحقيقة أنّ هذه الحركات القصيرة لا وجود لها في تلك المواضع، فالتاء في (كتاب) محركة بألف المدّ وحدها، والراء في (كريم) محركة بياء المدّ وحدها، والقاف في (يقول) محركة بواو المدّ وحدها.

(٩) ويظهر أنّ الكتابة العربيّة في صورتها المألوفة من وضع فتحة على التاء في (كتّاب) وكسرة تحت الراء في (كريم) وضمة فوق القاف في (يقول) قد جعلت القدماء يتوهمون وجود حركات قصيرة في مثل هذه المواضع. لذلك توهم ابن جني أنّ هناك فتحة مُمالة نحو الضمة قبل ألف التفخيم في كلمة الصّلاة، وعدها نوعًا فرعيًا من أنواع الفتحة وكان واجب ابن جني أن يقصر الأنواع الفرعية لأصوات اللين على ما يأتي:

١. تلك الفتحة المشوبة بالكسرة وهي التي في إمالة ما قبل تاء التأنيث كما في قراءة الكسائي لكلمة مثل "رحمة" حين الوقوف عليها.

٢. ألف المدّ حين تمال تصبح مشوبة بالكسرة كما في قراءة "ربا" بالإمالة. ولا فرق بين هذا النوع والنوع الأول في الكمية.

٣. ما يسمى بألف التفخيم، وهي ألف مدّ ممالة نحو الضم كما في قراءة بعض القراء لكلمة (الصّلاة).

٤. ياء المدّ الممالة نحو الضم، وذلك ما سماه النحاة بالإشمام حين ينطق بعض العرب بالفعل المبني للمجهول في مثل بيع وقيل.

(١٠) ويظهر لنا أنّ الأنواع الفرعية التي أشار إليها ابن جني كانت شائعة في اللهجات العربيّة القديمة، فالقراء عنوا بنوع واحد من أنواع الفتحة قصيرها وطويلها، لكثرة شيوعه في اللهجات العربية. بل قسموا إمالة الفتحة إلى الكسرة إلى قسمين كلاهما جائز في القراءة، جار على ألسنة العرب: وهما الإمالة الشديدة أي التي تصبح الفتحة فيها أقرب إلى الكسرة، وإمالة خفيفة وهي نوع من الفتحة ممالة إلى الكسرة؛ ولكنها في إمالتها تكون أقرب إلى أصلها وهو الفتح ومنها إلى الكسرة. وقد نسب القراء الفتح إلى لهجة الحجاز، والإمالة إلى أهل نجد من تميم وقيس وأسد، والكسرة إلى قراء مصر في قراءة حفص.

(١١) نلاحظ أنّ ابن جني عند تصنيفه لأصوات المد العربيّة الفرعيّة، وقد تم وفاقا لمعيارين، الأول: معيار التغيير في جهاز النطق في أثناء التلفظ. والثاني: معيار الكمية، وفي الحقيقة أنّ ابن جني لا يشير إلى المعيار الأول صراحة، ولكننا نستطيع أن نستشف ذلك من طبيعة الأصوات التي أوردها في هذا المجال، أمّا المعيار الثاني فهو صريح في الكلام عليه. ويمكن إجمال هذه الأصوات التي تحدث بسبب من تغير في هيأة جهاز النطق فيما يأتي: الفتحة المشوبة بالكسرة وألف الإمالة والضمة المشوبة بالكسرة المشوبة بروائح الياء والكسرة المشوبة بالضمة والياء المشوبة بروائح الواو وألف التفخيم.

(١٢) لعلّ إبراهيم أنيس قصد بصوت اللين هو الحركات أو صوت المدّ، ولكن هذا الخلط في التسمية وقع فيه القدماء وبعض المحدثين.

وهي تسمية ليست دقيقة؛ فحروف اللين هي الواو والياء أشباه الحركات، أمّا الحركات فهي حزوف المدّ إذ أريد بها الحركات الطويلة، ويكاد أنيس يعتمد -في تقديمه للحركات- اعتمادا كليا على دانيال جونز، ولم يحدد إبراهيم أنيس بداية تسمية هذه الأصوات بالحركات وفي ذلك يقول: "وظلت الحال هكذا حتى وضعت أصوات اللين القصيرة التي اصطلح القدماء على تسميتها بالحركات في العصور الإسلامية"، وهذا تحديد عائم، إذ تدرجت الحركات، وتطورت في العصور الإسلامية من حيث الرسم، والتسمية، والدراسة.

وما اختلاف تسمية هذه الأصوات بين العلماء، والتدرج في رسمها، وكيفية معالجتها وطبيعتها من حيث التحول والانقلاب إلا على خصوصية هذه الأصوات، وصعوبة مسلكها نسبة إلى غيرها.

(١٣) خالف المحدثون أمثال كمال بشر ابن جني وأكّد أنّه اختلط الأمر على ابن جني فنسب التغيير الحادث في الحركات إلى ما ظنه فتحة وكسرة وضمة سابقات لحروف المد: الألف في عامل وقام والياء في قيل والواو في مذعور. وهذا غير صحيح، إذ ليست هناك فتحة أو كسرة أو ضمة تسبق حروف المد. إنما هناك حروف المدّ نفسها، وهي الحركات الطوال التي أصابها التغيير. وهذا خطأ واضح وقع فيه جملة من القدامى، وبعض المحدثين أيضا، حين يظنون أنّ هناك فتحة سابقة لألف المدّ في قال، وكسرة سابقة للياء في قيل وضمة سابقة للواو في

مذعور ونحوهما؛ في حين أنّ ليس هناك شيء من ذلك، إنّما هناك حروف ذاتها، وهي تصنف علميا الفتحة الطويلة (ألف المدّ) والكسرة الطويلة (ياء المدّ) والضمة الطويلة (واو المدّ).

(١٤) وأكد أيضًا المحدثون أنّ الحركات ما زالت ثلاثا هي الفتحة والكسرة والضمة، وليست ستا. كما زعم ابن جني. وهذه الحركات الثلاث خاضعة للتغير في النطق، وهو تغير سياقي لا يؤدي إلى تشكيل حركات مستقلة تتجاوز المواقع والوظائف مع الحركات الأخرى في البناء الصوتي للغة.

(١٥) وأنّ ما يرويه ابن جني هنا عن هذه الحركات الزائدة خاص بلهجة من اللهجات. وهذا ليس في الحسبان على الإطلاق في هذه الدراسة، إذ إن عملنا مقصور على النظام الصوتي للغة العربيّة المعتمدة لسانا عاما للجميع بقطع النظر عن اللهجات. ومعلوم أنّ دراسة أصوات اللهجات إنّما تتم في إطار النظام الصوتي الخاص بكل لهجة على حدة.

والحمد لله رب العالمين

المصادر والمراجع :

١) الإيضاح في علل النحو ، أبو القاسم الزجاجي ، تحقيق مازن المبارك ، دار النفائس ، لبنان – بيروت – ١٩٨٢ م.

٢) الأصوات اللغوية ، ابراهيم أنيس ، دار النهضة العربية ، القاهرة – ١٩٦١ م.

٣) الأصوات اللغوية ، سمير شريف استيتية ، دار وائل للنشر ، الأردن –عمان – ٢٠٠٣ م.

٤) الأصوات اللغوية ، عبدالقادر عبدالخليل ، سلسلة الدراسات اللغوية ، عمان – الأردن – ١٩٩٨ م.

٥) الأصوات اللغوية محمد علي خولي ، مكتبة الخريجي ، الرياض – ١٩٨٧ م.

٦) الانصاف في مسائل الخلاف ، الأنباري - كمال الدين أبو البركات عبدالرحمن – تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الجليل – ١٩٨٢ م.

٧) التذكرة الحمدونية ، محمد بن الحسن بن محمد بن علي بن حمدون ، تحقيق إحسان عباس ، وبكر عباس ، دار صادر للنشر– ١٩٩٦م.

٨) الحركات في اللغة العربية ، زيد خليل القرالة ، عالم الكتب

الحديث ، عمان – الأردن– ٢٠٠٤ م.

٩) الحروف العربية وتبدلاتها الصوتية (في كتاب سيبويه ، خليفات وامتداد (، مكي درار ، اتحاد الكتاب العربي – دمشق – ٢٠٠٧ م.

١٠) الخصائص ، لأبي الفتح عثمان بن جني ، تحقيق محمد علي نجار ، دار الهدى للطباعة ، لبنان -بيروت ١٩٥٢ - م.

١١) الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني ، حسام سعيد النعيمي / منشورات وزارة الثقافة والإعلام ، الجمهورية العراقية ، سلسلة الدراسات ، دار الرشيد للنشر – ١٩٨٠ م.

١٢) الصوت اللغوي في القرآن ، محمد حسين علي الصّغير ، دار المؤرخ العربي ، بيروت – لبنان.

١٣) الصوتيات اللغوية (دراسة تطبيقية على أصوات اللغة العربية) عبدالغفار حامد هلال ، دار الكتاب الحديث ، القاهرة ٢٠٠٨ - م .

١٤) الصوتيات والفونولوجيا ، مصطفى حركات ، المكتبة العصرية ، صيدا – بيروت – ١٩٩٨ م.

١٥) العين ، الخليل بن أحمد الفراهيدي ، تحقيق المهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي ، دار الرشيد ، بغداد ١٩٨٠ م ..

١٦) الكتاب ، سيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان) ، تحقيق عبدالسلام هارون ، عالم الكتب ، ١٩٨٣ م.

١٧) المحيط في أصوات العربية ونحو صرفها ، محمد الأنطاكي ، دار الشرق العربي ، لبنان – بيروت.

١٨) المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي ، رمضان عبد التواب ، مكتبة الخانجي ، القاهرة.

١٩) المنصف ، لأبي الفتح عثمان بن جني ، شرح لكتاب التصريف لأبي عثمان المازني ، تحقيق مصطفى وعبدالله أمين ، طبعة مصطفى البابي الحلبي ، ١٩٥٤ م.

٢٠) جرس اللسان العربي ، جعفر ميرغني ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، الخرطوم – ١٩٨٥ م.

٢١) سر صناعة الإعراب ، لأبي الفتح عثمان بن جني ، تحقيق حين هنداوي ، مطبعة القلم ، سوريا – دمشق ١٩٥٤ م.

٢٢) شرح ابن عقيل ، ابن عقيل – بهاء الدين عبد بن عقيل – تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد

٢٣) علم الأصوات ، كمال بشر ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، مصر ، القاهرة – ٢٠٠ م.

٢٤) علم أصوات العربية ، محمد جواد النوري، جامعة القدس العربية المفتوحة ، عمان – ١٩٩٧ م

٢٥) فقه اللغة في الكتب العربية ، عبده الراجحي ، دار

النهضة العربية ، بيروت – لبنان.

٢٦) في الأصوات اللغوية (دراسة في أصوات المد العربية)، غالب فاضل المطلبي ، وزارة الثقافة والإعلام ، سلسلة الدراسات اللغوية، بغداد – ١٩٨٤ م.

٢٧) لسان العرب ، ابن منظور - جمال الدين محمد بن مكرم – تحقيق عبدالله الكبير ، القاهرة ، دار المعارف – ١٩٨١ م.

٢٨) معجم الأدباء ، ياقوت الحموي، تحقيق احسان عباس ، دار الغرب الإسلامي - بيروت – ١٩٩٣ م.

٢٩) مفهوم القوة والضعف في أصوات العربية ، محمد يحيى سالم الجبوري ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان – ٢٠٠٦ م.

٣٠) مقدمة في السانيات ، عيسى برهومة ، المكتبة الوطنية ، عمان – الأردن – ٢٠٠٥ م.

٣١) نظرات في علم الأصوات ، منير تيسير الشطناوي ، الجامعة الهاشمية –-٢٠٠٩ م.

٣٢) همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ، السيوطي – عبدالرحمن بن الكمال – تحقيق عبدالسلام هارون ، وعبدالعال سالم مكرم ، دار البحوث العلمية ، الكويت.

فهرس الدولية

م	الموضوع	الصفحات من	الصفحات إلى
١	المقدمة	أ	
٢	قسم : أصول الدين	١	٢
٣	اليهود المتخفون وأثرهم على النصرانية والإسلام إعداد الدكتور د/ أبو بكر عبد المقصود محمد كامل	٣	١١٤
٤	الأمن الفكري في المجتمع ومسؤولية الجامعات الإسلامية والكليات الشرعية في تحقيقه إعداد الدكتور د/ وليد بن مُحمَّد بن عبدالله العليّ	١١٥	١٥٨

٥	منهج القرآن الكريم في بيان الأحكام الشرعية إعداد الدكتور صبري منصور عبد العزيز صيام	١٥٩	٣٣٦
٦	السياق القرآني وأثره في ترجيح الآراء الكلامية إعداد الدكتور د. مسعد عبد السلام عبد الخالق	٣٣٧	٤٢٨
٧	آليات التحول الديمقراطي من المنظور الإسلامي إعداد الدكتور د/ سوزي محمد رشاد عبد العزيز	٤٢٩	٤٧٨

٨	نور البيان في أسرار فواتح سور القرآن إعداد الدكتور كرم معروف محمود معروف	٤٧٩	٦٤٤
٩	علم مختلف الحديث للإمام الشافعي دراسة تطبيقية إعداد الدكتورة ساره مطر ثابت العتيبي	٦٤٥	٧٠٢
١٠	نداء النبي (صلى الله عليه وسلم) في القرآن العظيم إعداد الدكتور د. عبد الله ناصر صباح الملا	٧٠٣	٨٠٠
١١	الدعوة إلى الله تعالى كما يصورها القرآن الكريم إعداد صباح طنطاوي عبد الحميد عبد المنعم	٨٠١	٩١٠

١٢	حديث القرآن الكريم عن النسيان إعداد الدكتور علي عبد الحميد عيسى عثمان	٩١١	١١٠٦
١٣	موقف المذاهب الفقهية الأربعة من الأشعرية دراسة نقدية لكتاب " منهج الأشاعرة في العقيدة " إعداد الدكتور د / رجب محمود خضر الإسنوي	١١٠٧	١٢٠٨
١٤	الدستور الأخلاقي للدولة في ضوء القرآن الكريم تأليف د. السيد سيد أحمد محمد نجم	١٢٠٩	١٣٤٦
١٥	التدرج في التشريع الإسلامي وأثره في الدعوة إلى الله تعالى إعداد الدكتور دكتور / نور علي محمود أحمد	١٣٤٧	١٤٨٠

١٦	قسم : الشريعة الإسلامية	١٤٨١	١٤٨٢
١٧	مشكلة رغيف الخبز في مصر أسباب وحلول دراسة فقهية إعداد الدكتور د/ مرزوق فتحي عيد حسين	١٤٨٣	١٦١٤
١٨	الحرية الإعلامية وضوابطها في الفقه الإسلامي إعداد الدكتور د/ خالد محمد عبد الرءوف عمارة	١٦١٥	١٨٠٦
١٩	الجهاد والتمييز بينه وبين الإرهاب في الفقه الإسلامي إعداد د. أسماء فتحي عبد العزيز شحاته	١٨٠٧	١٩٥٦

٢٠	أحكام الرؤية في الحضانة دراسة فقهية مقارنة إعداد الدكتور د/ محمود حربي	١٩٥٧	٢٠٤٤
٢١	استرداد الدائن ماله من المفلس - دراسة فقهية مقارنة - إعداد الدكتور د. وليد خالد الربيع	٢٠٤٥	٢١٣٨
٢٢	ضبط الفتوى وأثر ذلك في تحقيق الأمن الاجتماعي في الفقه الإسلامي مقدم من د. موفق محمد عبده الدلالعة	٢١٣٩	٢٣٠٠

٢٣	حكم سماع دعوى الطلاق إثبات مراجعته مطلقته بعد انتهاء عدتها - دراسة فقهية مقارنة - إعداد الدكتور د. رائد علي محمد الكردي	٢٣٠١	٢٣٦٨
٢٤	قسم : اللغة العربية وآدابها	٢٣٦٩	٢٣٧٠
٢٥	قصة فتيان الصدق عند حاتم الطائي دراسة بلاغية إعداد الدكتور د/ أحمد إبراهيم محمد	٢٣٧١	٢٤٢٢
٢٦	شوائب المعجم العربي الجمود والتهذيب إعداد الدكتور د/ إسماعيل أبو اليزيد إسماعيل	٢٤٢٣	٢٥٨٠

٢٧	من بلاغة الحوار القرآني في سورة هود عليه السلام إعداد الدكتور محمد محمد الطاهر محمد	٢٥٨١	٢٦٦٤
٢٨	العربية الفصحى وعوامل تجددها إعداد الدكتور د / جمال مصطفى شتا	٢٦٦٥	٢٧٢٢
٢٩	اقياس الصوابي عند ابن هشام اللخمي من خلال رده على الزبيدي وابن مكي الصقلي إعداد الدكتور مجدي فتحي محمد محمد قشيوط	٢٧٢٣	٢٨٧٦

٣٠	الحركات عند ابن جني في ضوء علم الأصوات المعاصر إعداد الدكتور د. عبداللطيف مطيع عبدالقادر	٢٨٧٧	٢٩٧٢
٣١	فهرس المجلة	٢٩٧٣	٢٩٨٤